

بدل الاشتراك عن سنة

٨٠ في مصر والسودان

١٥٠ في سائر الممالك الأخرى

ثمن المجلد ٢٠ ملياً

الاعتمادات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للادب والعلم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire

Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسؤول

أحمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ - عابدين - القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٦٢٣ « القاهرة في يوم الإثنين ٣٠ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٤ - ١١ يونيو سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

نبئت أجنحته وأخذ يطير ، صادته المصايف . وهل في أمة النمل
أحد ينسى قول أبي العتاهية شاعر الأنس :

وإذا استوت للنمل أجنحة حتى يطير فقد دنا عطية
فما كان جواب النملة للحقأ إلا أن قالت في ضحكة ساخرة ولهجة
ماكرة : إنك لا ترالين يا صديقتي متأخرة ، ومن العجيب أنك
تسبين إلى أمة متحضرة ودولة مستمرة ! على أننا لا نجادلك
بوصايا سان فرنسكو ، ولا بنصائح وشنطون ولندرة وموسكو إنما ،
نجددك بيران العمل وسلطان الواقع . وما هي إلا دمدمة كعزيف
الجن حتى غامت السماء بالنمل ، وسالت الأرض بالحشرات ، وأخذت
هذه الطير الأبايل ، ترمى الناس بحجارة من سجيل . ولم يفن عن
العزل الأبرياء دعس النمل ، في دفع هذه النمل ؛ فاستحرت القتل ،
وأنخت الجراح ، وانتشر النهب ، وفشا الخراب ، وكاد النصر الموقت
يتم لهذه الحشرة الباغية لولا أن صاح من الجانب الغربي صائح يقول
وفي يده بوقه وعلى رأسه بنوده : « يا أيها النمل ادخلوا ما كنتم
لا تحطمونكم سليمان وجنوده » فلم تبق نملة سمعت هذا الصوت من
ذلك البوق ، إلا دخلت مذعورة في شق من الشقوق ! وهيهات
ألا يبعث الله من في القبور ؛ إلا يوم ينفخ إسرافيل في الصور !
وحينئذ قالت النملة المتصوفة الحكيمة وهي تنفض رأسها
استهزاء بالضعيف المقترب والذليل المعتز : أليس من خيبة الحكمة
ألا ينفض مشكل ، إلا بمن سليمان أو أسطول نرشل !

ابن عبد الملك

قصة النمل الأبيض ...

قالت نملة حقأ لجماعة من النمل الأبيض أنقذها الفرار من أخفاف
الفيلة : لم لا نعمل كما عمل (تيتو) وقد صنع الحلقاء بنا ما صنعه به ،
نجعلها على جوانبنا أجنحة ، ووضموا في أفواهنا أسلحة ؟
قالت لها الجماعة : وماذا تريد أن نعمل يا ذات الأجنحة
الأمريكية والأسلحة الإنجليزية ؟
قالت : نهجم على هذه الجماعة البشرية وهي في نشوة من عود
النصر ، وغفوة من عهود السلام ، فنخرجها من دار أمية ، أو
ندفنها في أنقاضها وهي حية ؟

وكان في الجماعة نملة متصوفة من أتباع (مسنون) تكفر
بخطب الحجاج ، وتؤمن بطواسين الحلاج ، فهضت تقول وفي
عينها وقرق من السم : ولم هذا البني يا أختاه ! أنسيت والمهد
قريب ، بطشة الجبارين بأرضنا العزيزة وأهلها يومئذ يتقلبون في
النعمة ويتسبطون على الأنس ؟ أنسيت والهول لا يزال يعصف
بالقلوب ، تلك الجبال التي كانت تسير فتنفجر منها الحمم ، والقلاع
التي كانت تطير فتهمر منها الصواعق ، ونحن نلوذ بأجواف
الأرضين فلا نمتنا ذلك دون أن نسحق أو نحرق ؟ ولولا أن جاءنا
النصر بطريق القروض ، لبقينا كاليهود مشردين في الأرض ؟ فهل
يزكو بمن قامى معرة الظلم أن يظلم ، ومن كابد مذلة الحرمان أن
يحرم ؟ ثم اسمك تذكرين الأجنحة المستمارة ، كأنك لا تذكرين
الحكمة التي تقول : لا يزال النمل يحير ما لم تنبت له أجنحة ؛ فإذا

عصرنا العجيب

للأستاذ عباس محمود العقاد

—>>><<<—

أعجب العصور في تاريخ الإنسان كله هو عصرنا الذي نحن فيه ، ولا سيما هذا النصف الأول من القرن العشرين .

لك أن تلقى التاريخ كله مكتفياً بهذه السنين الأربعين أو الخمسين ، لأنك واجد على اليقين مائة عبرة في مكان كل عبرة تلعبها من تلك التواريخ الفائرة ، ولأنك على يقين واجدها أضغافاً مضاعفة ، في القوة والكثرة والدلالة والوضوح .

لقد كانت السنين تنقضي في تواريخ الماضين عشرًا بعد عشر ، ومائة بعد مائة ، بل ألفًا بعد ألف في بعض الأحيان ، قبل أن يظهر للعالم رجل خطير يضطلع بأعباء حادث خطير ، أو قبل أن تقام دولة وتسقط دولة ، وقبل أن تنجلي للأبصار والبصائر بواعث القيام ودواعي السقوط .

أما اليوم فتقيام الدول وسقوطها من أبناء الصباح والنساء ، واختلاف العبر وتقلبات المقادير من ذكريات العمر الواحد التي لم يتجاوز الثلاثين ، ومسرح القدر كريم بالآسئ والمهيبات يعرضها خمسًا خمسًا أو عشرًا عشرًا في وقت واحد ، فلا يفوتك فصل هنا إلا عوضته بفصول هناك ، ولا تذكر خيال يوربيد وارتستان وسفوكليس واسكيلاس وشكسبير إلا تلقيت حولك من نسج الراقع روايات مشهودة تفوق كل خيال .

موسوليني من بيت الحداد ، إلى أزقة جنيف ، إلى مظاهرات ميلان ، إلى دست الحكم في روما القيصرية ، إلى الصولة على العالم كله وهو في شرفات قصر البندقية يقمع بالسلاح فيرتجف الأتقياء والضعفاء ، ويحمدون الله على السلامة إذا انقضى ذلك الداء بنير النيران والدماء .

وموسوليني أيضاً من عبء للسلام يلقى بنفسه أمام القطار ليموق حركة الجنود التي تنزو طرابلس ، إلى مسمر للحرب لا يفوق ولا يقعد في حكمه إلا بثمانية ملايين من الحراب ! وألوف الألوف من صرعى البلاد والخراب !

ثم موسوليني هو هو بعينه هاربا يتسلل على أبواب التخوم

لا يزال يطمع في الحياة بما بقي له من سبائك الذهب وسلوى الفرام ، ثم يفوته هذا الطمع الذليل فإذا هو معلق من قدميه لأنظار السابلة الشامتين ، لا تسلم جثته بعد الموت من رصاصة انتقام وبصقة ازدراء . وحتر سيد الألمان وساحب الأمر الطاع في القارة التي تطلب الطاعة من جميع القارات ...

من طفل مدلل ، إلى جندي مخذول ، إلى شريد على أبواب الصدقة في العاصمة النمسية ، إلى جلس قيوات في ميونخ عاصمة البافاريين ، إلى وارث العرش العريق في برلين ، وسيد الأمة المختارة كما قال بين أمم العالمين . كلمة فإذا العالم يتساءل ماذا يريد ؟ وهمة فإذا هي أجهر في الآذان من البروق والعود ، وحركة فإذا الأكتف على الصدور ، وغضبة فإذا المغرب والشرق يتحدثان بالشرور وعظائم الأمور .

عاش ليفتح الأرض بما رحبت ، ومات لتضن عليه الأرض بقبر من ألوف القبور .

وفي روسيا ، أين دولة القيصرية ومن كان منهم يدعى بالأب الصغير إذا دعى الله بالأب الكبير ؟

وفي القسطنطينية أين دولة الحوادين ومن كان منهم يدعى بظل الله وخليفة رسول الله ؟

وفي أمة الفرس أين عرش الأكاسرة ؟ وفي أمم الصين أين عرش أبناء السماء ؟

لا تسئل عن هؤلاء وسل عن لينين وكال ورضا وشيان ، وكلهم بين طالب منى وجندي ناشئ وثائر مغضوب عليه .

ودع السياسة والحرب وانظر إلى النسك والزهادة ترى في الهند ناسكا حاسر الرأس طافى القدم ينازل الدولة التي صمدت للزوال ، في ميادين السياسة وميادين القتال .

ودع النسك والزهادة وانظر إلى عواطف القلوب وخلجات النفوس ترى الساحل العظيم الذي يتخلى عن ملكه ولا يتخلى عن زوجه وشريكه فؤاده وروحه .

ودع كل هذا وانظر إلى الصناعة والاختراع ترى الإبداع الذي ينسبك كل إبداع : هاتف في أقصى المغرب تسمعه في لحظة عين وأنت على عشرات الألوف من الأميال ، وطيارة تسابق الشمس فتدزع الشرق والغرب فيما بين ليلة ونهار .

مامن شيء في مصارع الدول ومقادير الشعوب ، ومامن شيء

اليوم فإنما نظموها لأنهم كانوا يتلقون الحوادث بدشة الخيال ، ولا يستعملونها مع هذا حتى يعنى عليها القدم ثوبا من النعوض والتهويل .

ولا كذلك يصنع المحدثون حين يتلقون الحوادث الكبر في عهدهم الشهود أو فيما غاب عنهم من المهود ، لأن الحادثة الكبيرة تقع بينهم فإذا هي حيز في الصحيفة ، وحديث في المذيع ، وصورة على اللوحة البيضاء ، وموضع للتحليل في كتاب ، وباب للترجمة وسرد السير في سجل من سجلات التاريخ ، ودرس من دروس الصناعة في المعامل أو معاهد التدريب . فقد شبع منها الحس واستنفدها اللسان ، والحس إذا شبع من شيء لم يرجع به إلى دهشة الخيال ؛ واللسان إذا استنفد القول تحليلا وتعليلًا لم يبق منه بقية للنعوض والتهويل .

ترى لو كان « هوميروس » قد شهد حصان طروادة صورة متحركة ، وقرأ أبطال الإغريق كتبًا مفصلة ، وسمع الساجلات بينهم حديثًا مذاعًا أو أسداء على اللوحة البيضاء ، وعلم أنه لا أبواب هناك ولا أنصاف أبواب ، وأنه لا نباتون في البحر ولا زيوس على متن السحاب — أكان ينظم الإلياذة كما نظمها أو كان الناس يسمونها منه كما سموها ؟

إن الخيال يعمل حين يلجئه الخفاء إلى العمل ، وإن المرء ليفنى حلل الخيال على الغاية في البرج المحجوب ، ولكنه حين يراها إلى جانبه في الترام ، وينظر إليها وهي تأكل الطعام ، ويستمتع إليها وهي تتكلم فتحسن الكلام أو لا تحسن الكلام ، يفكر فيها كل تفكير يحظر على البال إلا أن يلحقها بأجواء الخيال . ولنا نعتي بهذا أن الحوادث في عصرنا لم تبق بقية لخيال الشاعر وبديهة الفنان ، ولكننا نعتي أن النظرتين مختلفتان وأن التخيل في عصرنا أصعب من التخيل في تلك العصور ، فما كان يسيرا على هوميروس في أيام طروادة لن يتيسر له هذا اليسر في عصر دنكرك وستالنجراد .

نحن نشبع من الحوادث حياء وفهما فلا نمجّب لها كما كانوا بمجبون وهم يتلقونها بالدهشة والخيال ، وعلى هذا قد تمضى السنين الطوال قبل أن محس ما نحن فيه كما ينبغي أن نحسه ، وقبل أن نفهمه كما ينبغي أن نفهمه بمزول عن الأهواء .

عباسي محمود العقاد

في مظاهر القوة بين مظهر خادع ومظهر صحيح ، وما من شيء في أفانين الدعوة التي تقال أو لا تقال ، وما من شيء في أساليب القلب بالسياسة أو بالسلاح ، وما من شيء في موازين التقدير ومقاييس النجاح والإخفاق ، وما من عبرة في حياة الأمم أو الأفراد خلت منها هذه السنين الخمسون ، أو نقص نصيبها منها عن نصيب الدهور متجمعات متلاحقات .

أفنتحن سعداء بهذه الآونة العجيبة أم أشقياء ؟ إن كانت السعادة وفرة الحياة وثروة التجربة فنحن سعداء ، وإن كانت السعادة خلو اليال من العبر والأحداث فنحن لا نعبط السعيد الخالي ، لأن الخلو لم يكن قط بالنعيم الذي يمر النفس ويحمده الأحياء .

فالمر في هذا العصر الحافل لا شك أعمار ، والحياة بين هذه العوالم لا شك حيوات ، وما نحال أحدًا يستبدل بأيامه في هذا العصر أيامًا في العصور الأخريات ولديه سبب مفهوم .

قال قائل وقد كنت أذكر عجائب عصرنا : نعم ويحيل إلى أناس مع هذا أن العصر عصر باهت لا عجب فيه ، وأن العجائب حق العجائب قد ذهبت مع ذاهب العصور ، لأنهم يعجبون على البمد ولا يعجبون على القرب ، ولا يعلمون أنهم متعجبون إلا إذا قرأوا أنهم متعجبون !

وسأل سائل : لكن أليس بعجيب من هذا العصر أنه لم يبدع ملحمة من الشعر كلاحم الأقدمين ، وما كانت طروادة وميادينها وأبطالها إلا حادثة من حوادث الأقسام في جوانب الحوادث التي مرّت بأهل هذا الزمان ؟

قلت حذار يا أخانا أن تخطيء هذه الخطوة التي يترلق إليها شقاد الطواهر مغمضين ! . لو أن أدباء الملاحم النابرة عاشوا في عصرنا هذا لما كان شأنهم غير شأن الأدباء الذين يعيشون فيه . لأن الاختلاف إنما يكون في النظر إلى الوقائع لا في ضخامة الوقائع . ونصيبها من السعة والضجيج . وحذار يا صاح من كل رأى يسول لك أن تجرد الخلائق الآدمية في بعض الأجيال من سليقتهم التي طبعوا عليها في غير ذلك الجيل ؛ فإن السليقة لا تتبدل إلا كما يتبدل الناس بين عصر اليقظة وعصر النفلة والجمود ، فإذا لم يكن العصر عصر عقل أو جود فسليقة النفس الآدمية واحدة من أقدم العصور إلى أحدث العصور ، ولا سيما في مسائل الحس والتعبير . أما أن الأقدمين نظموا الملاحم فيها هو أهون من أعاجيب

عرب فرنسا

للأستاذ عمر الدسوقي

—•••••

فذلك برهان لا مرية فيه على أن فرنسا نجحت في هذه الديار نجاحاً نفذ إلى أبواب العجاثر في الجبال . أما إن كانت متهمكة فهذا دليل اليقظة الروحية ، والإيمان الكامن في هذه القرى النائية عن العمران ، وحجة على أن هذا الجيل الأثمن أشد بأساً وأقوى مراساً من أن يلين لزرج الحضارة الموهبة ، وأساليب الاستعمار الخادعة .

فقال : لعلها تقرر الحقيقة من وجهة نظر فرنسا ، فلها تعمل جادة على أن تسليخ هذه الشعوب من مقومات شخصيتها ، وتجردوها من كل ما يذكروها بمجد تليد ، أو يحفزها لعمل مجيد ؛ وتلهيها عن مثلها العليا بخلق أسباب التناحر بين أفرادها ، وتطغى جذوة الإيمان بالحرية المستقر بالفطرة في كل نفس بشرية بما تقدم من نفايات حضارتها ومادية مدنيها .

ألا ترى كيف فرضت لغتها على المدارس بشتى درجاتها يلقنها الطفل قبل أن يلقن لغة بلاده ، ويعلم بها كيف يعبر ويفكر ويحسب ! ؟ أليس من الخزي أن يُعَلِّم تاريخ هذه البلاد العربية وجغرافيتها باللغة الفرنسية ! ؟ إن اللغة رمز القومية ، وعنوان الشخصية ، فإذا لهج إنسان بلغة غير لغته في حديثه المتاد ومع أهل بيته وجنسه ، فهل تمت ما يفصح عن قوميته ويدل على شخصيته ؟ إن الوجوه تتشابه ، والمقول تتكافأ ، ولكن اللغة وحدها هي التي تفرق بين أمة وأمة . ولأمر ما يبتز الانجليزى بلفته ، حتى وهو غريب ، ويفرضها على الناس فرضاً في الفنادق والمتاجر في أوربا نفسها ، ولا يفكر في تعلم لغة البلاد التي يستوطنها

إن لغة أي بلد تحمل في طياتها تاريخها ، وحضارتها ، وعصارة أفكار أجيالها السالفة ، وآدابها ، وأمثالها ؛ وتذكر دائماً بماضي تلك الأمة ، وهي رمز الشعور المشترك بين أفرادها ؛ فإذا عافها أبناءها وأنفوا من التكلم بها ، وفرض عليهم النخيل لفته ، فقد اقتطعهم من كل ما يذكروهم بكيانهم الخاص وبدد ما بينهم من شعور بالقومية . وهذا ما عملته فرنسا في الجزائر ، وشمال أفريقيا ولبنان وسوريا .

أولا ترى كيف أضمرت فرنسا في هذا البلد نار الطائفية الدينية ، بل فرقت بين أبناء الدين الواحد ، وجعلتهم مذاهب وشيعة ، وزادت هوة الخلاف بينهم ، وجذبت إليها بعض رؤسائهم

عطبت سيارتنا ، ونحن مُصعَّد في الجبل صوب قرية من قرى لبنان ، وكان عطبا إذا ، كوخ مشرف على الطريق ، أطلت منه عجوز نالت منها السنون حتى تركها أثراً متهدماً لإنسان : درداء ، شططاء ، عجفاء ، معروفة اليدين ، مخددة الوجه ، محدودة الظهر . وكأنها راعها أن تقف سيارة نخمة بباب كوخها التهدم المتواضع الذي يحاكبها قدما ، ويحانسها ضعفاً ، ويمثلها قماءة ، فأخذت تجيل فينا بصراً لا يزال حديداً ، لم يبل كما بلى جسمها ، ولم يرث كما رثت مُنشئها ، يتطلع إلينا في لهفة وعجب ، كأننا من عالم آخر لم يره من قبل .

فقال صاحب يداعبها : مُصَّحت بالخير يا خالة . من أي العرب أنت ؟ ، فأجابت بلهجة جبلية قحة ، وبصوت خشن ، استمار غلظته من هذه السخور الجاسية التي تحيط بها : « إني من عرب فرنسا » . فقال صاحبي ذهشاً : « وى ! وهل لفرنسا عرب ؟ » فتلصحت العجوز ، وحارت ثم أجابت : « إنا لا نعرف غيرها حاكما على هذه الديار . قد بسطت ألويتها على السهول والجزون ، وتغلغلت لغتها في القرى والساكن ، والبيوت والتاجر ، ينطق بها الصغير والكبير ، ويژهى بالتشديق بها الحفصير والأمير ؛ قد طبعت بلادنا بطابعها ، وتدخلت في الهين والجليل وملكت أزمة المال والرجال . وإني في وكرى هذا لأحس بأسها وسطوتها فهل حدثت عن المجادة إذا قلت : إني من عرب فرنسا ؟

ولم يطل صاحبي معها الحديث لتستشف خبيثة نفسها ، وتعرف أمتهكة هي أم جادة ، وفرحة بهذا الوضع أم ترحة ؟ فقد جارت السيارة مستأنفة السير فهرولنا إليها مشيرين إلى المجوز مودعين . وما إن استقر بنا المقام في النيلة حتى التفت إلى صاحبي وقال : « ما رأيك فيما سمعت ؟ » فقلت : « نكراً والله ، إن كانت هذه العجوز جادة تقرر حقيقة قد سلت بها ، واعتقدتها من قلبها

الفانين ، والعرب الفاتحين ، وأهل جبال فيهم مراس وبأس ، وصبر واحتمال ، ونزوع إلى المخاطرة والمغامرة ، لا يبايئون بالشدائد والأهوال في سبيل أهدافهم ، فكيف رضوا بنير الاستعمار ؟

فقال صاحبي : إن الاستعمار دنس ، يلوث النفوس الطاهرة ، ويوهن العزم القوي ، ويفتن القلب الأبي ، ويضل العقل الذكي . إنه امتحان للانسان وكرامته ، وأنحطاط به إلى مرتبة الرق . وأوروبا قد حاربت الرق الفردي ، ولكنها استباححت الرق الجمي . فخرجت سوريا من الحرب الماضية منهوكة القوى من الجوع والجهل والضعف ، وطعمت فيها فرنسا ، فأبى فيصل وأتباعه على ما بهم من ومن أن يكونوا طعمة صينة ، ثم كانت موقعة (ميلسون) وبسطت فرنسا نفوذها على الشام ، وقطعتها إرباً ارباً ، فشرق الأردن ، وفلسطين ، وسوريا ، ولبنان ، وجبال العلويين ، وجبال الدروز ، والاسكندرونة ، وإنطاكية . وجعل لكل جزء رئيس ، وصار لكل رئيس أذنان وأتباع ، يطعمون في المناصب والجاه الكاذب . وبذلك ذهبت قوة بلاد الشام في هذه التفرقة ، ومكّن لفرنسا أن تعمل ما تشاء هي وإنجليتها . فلو كان الشمل جميعاً ، والقلوب متحدة ، والقوى متضافرة ، والموارد متجمعة ، لكان الشأن غير ما ترى اليوم ، ولكن قاتل الله الرق والاستعمار ! كان هذا الحديث قبل أن تنهار فرنسا ، وتبتلى بالحن الشداد ، وتسق كأس النذل حتى الثمالة ، وتنهك حرمتها .

وقلنا لعله درس يعلمها كيف يتألم سليب الحرية ، وكيف يشمل تملل الذبيح تحت مدينة الجزار ، وكيف يتأوه المظلوم والمحروم ، ويصعد الزفرات والحشرات ، وقد سدت دونه السبل ، وأشرعت فوق رأسه حرب الناصيين .

وشاء الله أن تمتق فرنسا على يد الحلفاء ، ولم تكذب تنسم نسمة واحدة من الحرية حتى أخذت تتطلع إلى أن تسرق غيرها ، وتبسط سلطانها على سواها من الأمم التي رقت لها وهي مشخنة الجراح فلم يطعمها من الخلف ؛ مع أن فرنسا لا تزال بعد دامية الجراح ، مفككة الأوصال ، تهددها الجماعة بالموت .

وأغدقت عليهم النعم ، ومدت لهم في أسباب المودة ، وأضفت عليهم الألقاب حتى يعمتوا في خلافهم ، وخلقت لهم المناصب ، ووزعتها طبقاً للطائفية ؟ فكيف يرضى هؤلاء وقد نموا بالرياسة أن يخضع بعضهم لبعض ؟ أو لم تسمع بالرب « سليمان » ؟ قلت : كلا ! ، قال : إنه شخص يدعى الألوهية بجبال العلويين ؛ ويرغم أن روح الله حلت به ، وقد اعترفت فرنسا بألوهيته ، وحين ينزل بيروت تضيفه الحكومة الفرنسية في أرق الفنادق ، وتحيطه بحرسها وجندها ، وتقله في أنعم سياراتها ، وتوهمه أنه إله حقيق لا مصرية فيه .

ألا تتصور الرب « سليمان » هذا يعود إلى موطنه في جبال العلويين ، يشيد بفرنسا وعظمتها ويسبح بحمدها وقد بشم من الشيع على موائد الناصيين ، وانتفخ عظمة كاذبة من ثناء الخادعين ، واكتنظ حقيته بالمال والهدايا ثمناً لضميره الذي يبيع للمستعمرين ؟ إن فرنسا تتدخل في الصغيرة والكبيرة من أمور هذه البلاد ، فلا تدع لأبنائها مجالاً للتفكير والتدبير ، والموازنة والتقدير . فهي تريد عقولهم مشلولة أو مغبولة ، أو قل إنها تريد أن تفنيهم معنوا ، وتجعلهم بعد جيل أو جيلين لا يحسون ولا يدركون ما لهم من حقوق وما عليهم من واجبات ، يُدبر أمرهم وهم في غفلة ساهون ويُفرض الأمر حين تنيب تيم ولا يُستأذنون وهم شهود وهكذا شأن الجزائر اليوم ، فلا حول ولا قوة إلا بالله !

فهل بعد هذا تعجب حين تقول هذه العجوز : « إنها من عرب فرنسا » ، إنها من عرب ملك لفرنسا تفعل بهم ما تشاء أو أنهم على وشك أن يكونوا كذلك ، تسومهم الخسف وسوء العذاب ، وتسلبهم حرياتهم ، وتفرقهم أبائهم ، وتقتل فيهم الحياء والإياد ، والروء والوفاء .

قلت : وكيف يرضى أهل هذه الديار بهذا ؟ وعهدى بأهل الشام أولى نجدة وحمة ، وغيرة متقدة وحاسة ملتهبة ، ووطنية متأججة . لهم تاريخ حافل بصفحات المجد والفخار ، وفيهم حيوية متدفقة وذكاء فطري عظيم ، وحرارة إيمان شديدة . ثم هم أحفاد

فرض عليهم قسراً ، ولأنهم يرون أنفسهم ومن ورائهم ماضيهم وبين أيديهم حاضرهم ، أكثر رشداً ، وأقوم خلقاً ، وأوفى عهداً ، وأشد جلدأ من هذه الأمم التي تفرض نفسها على غيرها ، وتسم غيرها بالقصور ، وهي في أمس الحاجة إلى مرشد حكيم ينجيها مواطن الزلل ، ويمرنها أن طرق الاستعمار القديمة البالية لا تستينفها الأمم بعد اليوم ؟ !

كل البلاد العربية في موقف مشابه لسوريا ولبنان ، وهما تمبران اليوم عما يحيش في كل نفس عربية ، وتضربان بجهادهما الرائع وضحاياهما الخالدة البرهان الناصع على حيوية هذه الشعوب العربية ، وما تستطيع أن تفعله كل منها حين تقف للجهاد ، وتزأ زئير الحرية . وتضافر الأمم العربية معهما وشدها أزرهما المحك الذي تبلى به جامعة الأمم العربية ، فإما عزة وسؤدد بيقين للابد ، وإما خزي وعار وذل واستعباد لكل هذه الشعوب لا قدر الله . فهل آن لنا أن نعيش أحراراً من نير أوروبا ؟ !

عمر الرسوفي

كنا نظن ، وقد ذاقنا مرارة الذل والاستعباد ، أنها ستقدر نزعات الحرية عند غيرها من الشعوب ، وكنا نظن ، وقد اعترفت الدول الكبرى باستقلال سوريا ولبنان أن لم يدعنا مجال للمساومة في الرق بأي صورة كانت : انتداباً ، أو استغلالاً ، أو امتيازاً .

وكنا نظن ، وأوروبا بأسرها كانت تقاقل حتى أمس القريب في سبيل الحرية ، والمبادئ الديمقراطية ، أننا مقبلون على عهد جديد ، يكرم فيه الإنسان أينما كان ، وتمجى فيه السيادات ، ويميش الناس سواسية متحايين بعد هذه الحقنة القاسية ، والحرب الشنعاء . وإلا فقيم كانت كل هذه الدماء المرافقة ، والدعاوى العريضة ، والبلاد المحرقة ، والإنسانية المنكوبة ؟ !

يا عجباً ! تلجأ فرنسا التي كانت تن بالأمس تحت سياط الجلاد ، إلى تلك السياط التي تسلطها على شعوب تأفف في شتم وكبرياء أن تدين بعد اليوم لأمة ما بالطاعة والعبودية . أتغرب دمشق بالدافع والطائرات الفرنسية ، لأن أهلها يرفضون وصاية وانتداباً

شركة كبرى ومطبعة في بيروت

١٢ شارع الشيخ محمد عبده بجوار الأزهر

تليفون ٥١٣٢٢ - ص . ب القورية رقم ٧١



أكبر المطابع العربية وأشهرها

بها أعظم استعارة لفنشر المؤلفات

الحديثة والمكتب الفرع

العالم الديمقراطي كما رأيته

تأليف رمانة مصر الكبير محمد ثابت



رحلة ممتعة يقصها علينا المؤلف بأسلوب شيق يذكركنا بالمشهورين من رجال الرحلات العرب كابن بطوطة وابن جبير والبيروني ، فالقارى يتبعه مستأنساً به خلال رحلاته في بريطانيا وإيرلندا وأستراليا ونيوزيلندا والولايات المتحدة وكندا والصين وسد بأجوج ومأجوج وغيرها من بلاد الله الثمن ٣٠ قرشاً عدا أجرة البريد ويطلب مع جميع مطبوعاتها من المكاتب الشهيرة ومكتبة فيكتوريا بالإسكندرية

في إرشاد الأريب

إلى معرفة الاديب

للاستاذ محمد إسعاف الذشاشيبي

— ٤ —

٥. في ج ٨ ص ١٨١ وهذا شيء (يعني تفسير كتاب سيبويه لأبي سعيد السمراني) ما تم للبرد ولا للزجاج ولا لابن السراج ولا لابن درستويه مع سعة علمهم وقبض بناتهم .

وجاء في الشرح : وقبض بناتهم هو من قبض على الشيء بيده أمسكه وضم عليه أصابعه وهو إشارة إلى تمكّنهم .

قلت : أغلب الظن أنه (فيض بناتهم) والبرد هو بفتح الراء كما ضبط ابن خلكان في (وفيات الأعيان) وبين ابن عبد ربه في (العقد) ودل عليه خبران في (تاريخ بغداد) وللخطيب و (شرح المقامات) للشرشي . وكنت قد ذكرت كل ذلك في « الرسالة الغراء » . ولما اطلع العلامة ابراهيم مصطفى الأستاذ في جامعة فاروق الأول على النصوص التي أوردتها نشر كلمة في الرسالة (٢٠٥) ذكر فيها أن الشيخين اللغويين الشنقيطي والرصني كانا يذهبان إلى كسر الراء ثم قال :

« ولمرر لو أنهما شهدا وهدي إليهما ما قدم في الرسالة من النصوص لما رأيا إلا الفتح ... فإنا كان هؤلاء العلماء من التشدد في الحق إلا أننا نكشف لهم الحجة في غير ما بأيديهم ، فهم أتباع الحق أبداً ... »

وهذه طرائف جديدة تنصر الفتح :

روى ابن حجة في (خزانة الأدب) لشيخ الشيوخ عبد العزيز الأنصاري الحموي :

ويلاه من نوى المشرّد وآه من شملى المبدد يا (كامل) الحسن ليس يظنّ ناري سوى ريقك (المبرد)

وجاء في الأساس : فلان يفصل كلامه تفصيل الفريد ، وهو الدر الذي يفصل بين الذهب في القلادة المفصلة ، فالدر فيها فريد والذهب مُفرد ، والواحدة فريدة ، وقيل : الفريد

الشذر ، ويقال لبائعه : الفرّاد . وتقول : كم في تفاصيل المبرد ، من تفصيل فريد ومفرد .

ومن عرف أسلوب الزمخشري في سجعات الأساس أيقن أنه لم يقصد إلا الفتح . ومثل تلك السجعة هذه المقطوعة للمان ابن عبد الله الحلواني النهرواني :

تقول بُنيّتي : أبتي ، تنفع ولا تطمع إلى الأطماع تمتد^(١) ورض بالياس نفسك فهو أخرى وأزين في الوري ، وعليك أعود فلو كنت الخليل وسيبويه أو الفرّاء أو كنت المبرد لما ساوت في حي رغيّاً ولا بُتاع بالساء المبرد وقال شاعر لا أتذكر الآن اسمه :

ومليح إذا النجاة رأوه فضلوه على (بديع الزمان) رضاب عن (المبرد) بروي ونهود تروى عن (الرمانى^(٢)) وقال الثعالبي في (خاص الخاص) :

« أبو العباس المبرد قال : اجترت يوماً بسذاب الوراق وهو قاعد على باب داره ، فقام إليّ ، ولاطفني ، وعرض على القرى . قلت : ما عندك ؟ قال : عندى أنت ، وعليه أنا . يعني أن عنده لحم السكباج المبرد ، وعليه السذاب المقطع^(٣) . فاستظرفت هذه النادرة وزلت عنده »

وما كان أمثال الجاحظ والأعشى والمبرد والأخفش يكرهون ألقاباً شهروا بها .

روى ياقوت في أخبار علي بن سليمان (الأخفش الصغير) : حدث أبو عبيد الله : حضرت يوماً أبا الحسن الأخفش ودفع كتاباً إلى بعض من كان في مجلسه ليكتب عليه اسمه ، فقال له أبو الحسن : خَفَشْ ، خفش . يريد اكتب الأخفش . ثم قال أنشدنا أبو العباس المبرد :

لا تكرهن لقباً شهرت به فلرب محظوظ من اللقب

(١) (أبتي) ج. بين التاء والياء . — بين الهمزة والهمزة منه — ضرورة ، وقد ورد في الشعر مثل ذلك

(٢) أبو الحسن علي بن عيسى الرمانى النعمى المتكلم أخذ الأئمة المشاهير جمع بين علم الكلا والفريية . أخذ الأدب عن أبي بكر ابن دريد وأبي بكر بن السراج « ابن خلكان » .

(٣) السكباج بالكسر مغرب عن سرکه باجه ، وهو لحم يطبخ بخل ، ويقال : سكج الرجل إذا أعد سكباجا ، والسذاب بقل له خواص وطبايع مروفة في كتب الطب . (التاج) وفي (ألفاظ النصارى العربية) : نبات يقارب شجر الرمان ورقه كالصعتر . وزهره أصفر .

وبعد فالفضل كل الفضل في تحقيق ذلك الاسم وضبطه إنما هو لرسالة العرب والعلم والفضل والأدب ، والعلامة الأستاذ إبراهيم مصطفى ، وللأديب البارع الأستاذ محمد فهمي عبد اللطيف .

* في ج ١٠ ص ٢١٢

إن هشام جده هشام مقابل مدابر هشام قلت : كسرت الباء في مقابل ومدابر وهي فيهما بالفتح . ورجل مقابل مدابر كريم الطرفين من قبل أبيه وأمه كما في اللسان والتاج وهو من المجاز كما ذكر الأساس . والبيتان من أرجوزة لحفص الأموي في الخليفة هشام بن عبد الملك .

* في ج ١١ ص ٧٦

وقيل داوى الطبيب المريض فماش المريض ومات الطبيب فكمن مستعداً لدار الفناء فإن الذي هو آت قريب قلت : سكت ضد المريض وفتحها واجب ، والقبض هنا كثير ، وليس البيت مصرعاً ولا مقفى حتى يجوز التسكين . وعندى أن القاتل وهو الخليل بن أحمد لم يستعمل إلا الضرب الصحيح وإن جاء قصره وجاز .

وقوله (فكمن مستعداً لدار الفناء) هو (فكمن مستعداً لدار الفناء) أى للموت كما روى الأنباري في (نزهة الألباء في طبقات الأدباء) ومعلوم أن تلك الدار التي يستعد لها المؤمنون هي دار البقاء لا دار الفناء ...

* في ج ٩ ص ١٧٩

يلذ له طعم الحكمة كأنما

جرى الشنب المسول فوق المواسل^(١)

قلت : يلذ له طعم الحكمة لا طعمهم ... والبيت للحسن بن محمد المسقلاني في صارم الدولة بن معروف .

* في ج ١١ ص ٢٠٤ ونهم قرونتي أن أرفع عقيرتي ... قلت : جاءت قرونتي بضم القاف وهي بالفتح كما ضبط القاموس المحيط ... وضُط في المخصص ، وقد جاء فيه : ساحت قرونه وقرونته وهي النفس ، وهي القرينة وهي القرين ، وحكى ابن الأعرابي : أساحت قرونه أي لانت وانقادت .

(١) ثمر أشنب ، وفيه شنب وهو رفته وسفاؤه ورده (الأساس) المواسل : الرماح ، عمل الرمح : تشد امتدازه فهو عامل وعال وسول : مشطرب لدن .

* في ج ١٤ ص ١٦ . وكان الشيخ عبد القاهر الجرجاني (صاحب دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة) قد قرأ عليه (يعني على ابن عبد العزيز الجرجاني صاحب الوساطة بين التنبئ وخصومه) واغترف من بمجرد ، وكان إذا ذكره في كتبه تبخبخ به ، وشمخ بأنفه بالانتهاء إليه .

قلت : وردت (تبخبخ) ولم تجيء (تبخبخ) واليقين أنها تبخبخ به . في التاج : تبخبخ به . نخر ، قال المحضاني . فلان يتبخبخ ويتبخجج أى يفتخر ويباهى بشئ ما ، وقيل : يتماظم . * في ج ٢ ص ٨١ وله (للصابي) إلى صاحب :

لما وضعت صحيفة في بطن كف رسولها قبلتها لثمها يثاها عند وصولها حتى ترى في وجهك الـ ميمون غاية سؤالها قلت : سولها بالتخفيف ضرورة ها .

* في ج ٧ ص ١٠٦

سرج لقوم يهتدون بها وفصائل تنمى ولا تجرى قلت : (تنمى) بكسر الهمزة ، و (تجرى) هي تجرى بالخاء ، وهي كرى يرى . في النهاية : في حديث وفاة النبي (صلى الله عليه وسلم) فما زال جسمه يحرى أى ينقص ، يقال : حرى الشيء يحرى إذا نقص ، ومنه حديث الصديق : فما زال جسمه يحرى بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وسلم) حتى لحق به .

* في ج ٨ ص ١٣٥

ومثلك العيدان يُد مد جسها ريم وزير

قلت : يم بالفتح وأيم التليظ من أوتار العود ، والوزير الدقيق منها * في ج ٨ ص ١٤١ وكانوا يقدون على محمد بن يحيى بن أبان فيضربون خيامهم في باغ سلم بن عود .

وجاء في الشرح : باغ اسم مكان فيه دار ابن عود

قلت : الباغ البستان بالفارسية ، وهو في شعر أبي الفتح علي ابن موسى البستي ، رواه الثعالبي في مقدمة (كتابه فقه اللغة) : لا تنكرون إذا أهديت نحوك من

علومك الفر أو آدابك — التنفا

قيم الباغ قد يهدي لالكه برسم خدمته من باغه التحفا

ما كتب في هذا الموضوع (عاطفياً) بكل معنى الكلمة . كان أكثرها مرأى تندب حظ فرنسا ، وتظهر أسفاً شديداً ، وحزناً عميقاً على السكارثة التي حلت بها ؛ وكان بعضها ينال في الرثاء ، إلى أن يبلغ به درجة البكاء ...

غير أن هذه المرأى قبولت بمعارضة شديدة ، فقد حمل عليها بعض الكتاب حملات عنيفة وقالوا : كيف يجوز لكتاب عربي أن يبكي على فرنسا وينسى ما فعلته بالقسم الأعظم من البلاد العربية ؟ كيف يجوز لفكر عربي أن يرثى النكبة التي حلت بفرنسا وهو يعلم أنها كانت من أهم العوامل التي أزلت أكبر النكبات بالأمة العربية وبخاصة بعد الحرب العالمية ؟ احتدم الجدل بين الفريقين ؛ وحاول كل فريق أن يبرر حسن 'عواطفه' بمقالات حارة ، أودع فيها كل ما أوتي من قوة البلاغة والبيان ...

أنا من الذين يعتقدون أن الكتابات العاطفية تعبر عن نفسية كتابها الشخصية وخوارجهم الذاتية ، فلا تتحمل المناقشة مناقشة علمية ... غير أن أصحاب المرأى لم يكتفوا بإظهار عواطفهم وتثيتها ، بل أخذوا يدافعون عنها ويدعون إليها ، وحاولوا أن يدعموها ببعض الآراء والنظريات السياسية والاجتماعية ..

فإذا جاز لنا أن نسكت تجاه « العواطف الشخصية » ، فلا يجوز لنا أن نلتزم مثل هذا السكوت تجاه الآراء والنظريات التي صارت تنشر لتبرير تلك العواطف ...

لقد قال البعض « يجب أن نميز بين فرنسا الأدبية المتمدة وفرنسا السياسية المستعمرة » ، كما قال آخرون : « يجب علينا أن نفرق بين عمل الساسة وعمل الأمة كلها ، فلا يجوز أن نعتبر الشعب الفرنسي مسؤولاً عن أعمال حكامه ..

فلننعم النظر في الآراء التي تتضمنها مثل هذه الأقوال .. ولنفكر جيداً : هل يمكن التمييز بين فرنسا الأدبية المتمدة وفرنسا السياسية المستعمرة تمييزاً حقيقياً ؟

أنا لا أقول بذلك أبداً ... لأن الأدب الفرنسي نفسه لم يلتزم الحياد تجاه السياسة الفرنسية بوجه عام وحيال السياسة الاستعمارية بوجه خاص . بل بعكس ذلك انبرى لخدمة تلك السياسة

حول انهيار فرنسا لأستاذ عربي كبير

حينما انهارت فرنسا أحدث انهيارها المفاجئ هزة أرضية عالمية ، دعش لها من دعش ، وابتهج بها من ابتهج ، وبكى منها من بكى . وكان الفنان كمال الدين يوسف وم الذين اكتسبوا طويلاً بنار الاسعار الفرنسي أن يتنفسوا الصعداء بزوال هذا الكابوس ، ولكنهم انقادوا للتوازع الانسانية والأدبية فيهم فكثيرون يرون فرنسا وبرتون لها وسقطون عليها إلا هذا الكاتب المفكر الكبير فإنه عارض هذه التزعة وعالج الموضوع على ضوء الحقائق المجردة والوقائع الثابتة . ولم تنهنا لنا الفرصة يومئذ لنشر هذه الآراء القيمة ، فنشرها اليوم بمناسبة المناسبة السورية فإنها جرة متقدمة من تلك النار ، وأثر سئ من آثار ذلك الانهيار ..

... أخذ عدد غير قليل من الكتاب العرب يتبارون في نشر المقالات ونظم الأشعار ، حول هذا الانهيار ، وكان معظم

* في ج ١٠ ص ١٣٩

أستطبل الفصاحة من النعم ، والصباحة من النعم ؟ قلت : من الأغم . والنعم كما جاء في الصحاح أن يسيل الشعر حتى تضيق الجبهة أو القفا ، ورجل أغم ، وجبهة غماء ، قال هدية بن الخثرم :

فلا تنكحني إن فرق الدهر بيننا أغم القفا والوجه ليس بأزعا والأثرع الذي ينحسر شعر مقدم رأسه مما فوق الجبين كما في النهاية . وفي اللسان : وامرأة زعاء ، وقيل : لا يقال زعاء ، ولكن يقال زعمراء . وفي صفة علي (رضى الله عنه) البطيخ الأثرع^(١) . والعرب تحب الزرع وتبتمن بالأثرع ، وتذم النعم ، وتشاءم بالأغم ، وتزعم أن الأغم القفا والجبين لا يكون إلا لثما ، ومنه قول هدية : البيت . وفي (الكامل) : النعم كثرة شعر الوجه والقفا ، وأورد البيت ، ثم قال : والعرب تكره النعم .

(١) وقيل معناه الأثرع من الشرك الملوه البطن من السلم والايحان (النهاية) ..

بكل الوسائل الممكنة. وقد كتب الأدباء عدداً لا يحصى من مقالات والخطب والأشعار والقصص والروايات التي تمجّد الاستثمار وتربّه في النفوس، وتحتّ على الاستثمار وتحبّبه إلى القلوب...

إن دلائل ذلك تظهر للعيان من خلال جلسات الأكاديمية الفرنسية أيضاً. لأن هذه الندوة الأدبية العليا قد حرصت كل الحرص على أن تختار بعض أعضائها من بين رجال السياسة والجيش، كما اختارهم أحياناً من بين صناديد الاستثمار. وهؤلاء لم يتجردوا من نزعاتهم السياسية والاستثمارية عند دخولهم قاعة اجتماع تلك الندوة حتى إنهم لم يترددوا أحياناً في اتخاذ تلك القاعة منبراً للإجماع آرائهم الاستثمارية في خطب أدبية رائعة.

ولعل أقرب وأوضح الأدلة على ذلك كان انتخاب المارشال (ليون) عضواً في الأكاديمية المذكورة. ومن المعلوم أن هذا المارشال يعتبر من أكبر رجال الاستثمار، فقد لقبه الفرنسيون بلقب «الإفريق» - تقليداً لما فعله الرومان في القرون الأولى، عندما خلّعوا مثل هذا اللقب على (اسجسيون) بعد تمكنه من تدمير قرطاجنة. إن الأكاديمية الفرنسية انتخبت المارشال ليون عضواً بها، أفتردون ماذا كان موضوع «خطبة القبول» التي افتتحت حياته الأكاديمية وفقاً لتقاليد الندوة الأدبية المذكورة؟... كان موضوع الخطبة «الاستثمار»... أقرأوا الخطبة المذكورة تجدوها قطعة أدبية رائعة في مدح الاستثمار وتمجيده... إنها تشرح فوائد الاستثمار المادية والمعنوية بأسلوب حار بليغ، وتدعو إلى «الإيمان» بضرورته لحياة فرنسا! «لأن الاستثمار - مصدر هام للقوة والثروة، ومنبع لا ينضب للجيش، وساحة تدريب وتكوين للقواد... ولأن الأمم المحرومة من المستعمرات تكون جانحة إلى الركود والجمود الروحي...»

أعتقد أن هذه الخطبة من أبرز الأمثلة والأدلة على تدخل وتشابك الأدب والاستثمار؛ فلا يجوز لنا إذن أن نقول بوجود التمييز بين «فرنسا الأدبية المتمدنة وفرنسا السياسية الاستثمارية» بوجه من الوجوه.

وأما إذا قيل: «إن القصد من التمييز البحوث عنه، هو (تقدير الأدب الفرنسي) في حد ذاته، بقطع النظر عن السياسة

الفرنسية والاستثمار الفرنسي»، فأننا أسلم بصحة هذا الرأي، غير أنني أقول بلا تردد: إذا كان الأمر كذلك، فلا بدني داع ولا ميرر للرائء... لأن «الأدب الفرنسي» ظل خارجاً عن حدود النكبات؛ فإن النكبة التي نحن بصدها حلت بالدولة الفرنسية والجيش الفرنسي لا بالأدب الفرنسي... لأن انهيار الجيش لا يستوجب انهيار الأدب، والاندحار في ميادين الحرب والسياسة لا يستلزم الاندحار في ميادين الأدب والثقافة... إنني أستطيع أن أخطو خطوة أخرى في هذا السبيل فأقول: «إن مثل هذه النكبات قد لا تخلو من الفائدة إلى الأدب، لأنها قد تكون منبتاً خصباً للإنتاج الأدبي. فإن الآلام والأفراح تكون - بوجه عام - أفضل من الأفراح في إثارة المواطن، وتوليد الأدب الرائع...

وعلى كل حال فإن نظرية التمييز بين فرنسا الأدبية وفرنسا الاستثمارية لا تستند على أساس قويم من هذه الوجهة أيضاً. وأما القول في وجوب التفريق بين الشعب والحكام وعدم اعتبار الشعب مسؤولاً عن أعمال الحكام... فهو غريب جداً، ولا سيما بالنسبة إلى فرنسا التي تفخر وتباهى بالديمقراطية والجمهورية والإدارة الشعبية...

أنا لا أنكر أن الحكام قد يستطيعون في بعض الأحوال أن يجروا شعبهم إلى الاتجاه الذي يريدونه؛ غير أنني أعتقد أن ذلك الاتجاه لا يمكن أن يستمر طويلاً إذا لم يأت موافقاً لنزعات الشعب ويجد هوى في أمياله النفسية...

ومن المعلوم أن «الاستثمار» لم يكن من الحوادث العارضة في تاريخ فرنسا... بل إن تاريخ الاستثمار هناك طويل وطويل جداً؛ حتى أن بدء الاستثمار الفرنسي للبلاد العربية نفسها يعود إلى أكثر من قرن. فإن فرنسا بدأت حملتها على الجزائر سنة ١٨٣٠ وقد مضى على ذلك التاريخ قرن كامل مع عقد من السنين... غيرت فرنسا «نظام حكمها» - خلال هذه المدة أربع مرات بل خمساً، انتقلت من الملكية إلى الجمهورية، فالإمبراطورية، ثم عادت إلى الجمهورية. والآن أخذت تجرب شكلاً جديداً من نظام الحكم... مع هذا لم تنحرف عن سلوكها الاستثماري طوال هذه المدة وخلال هذه النظم

مواطنيهم ، ونحسدون بصراحة بعض الأمم من جراء الوازع الشخصي المبحوث عنه ...

وأما تمت فرنسا « ببث النور ومهد الاختراعات » واعتبار الفرنسيين أرقى شعوب الأرض على الإطلاق ، فإن كان ذلك من الدعاوى التي كان يمكن الدفاع عنها في دور من أدوار التاريخ ، فقد أصبح من القضايا التي لا يمكن التسليم بها في الدور الذي نميش فيه الآن ...

لقد فتد الفيلسوف الإنكليزي الشهير « هربرت سبنسر » الأسطورة القائلة « بتفوق الفرنسيين » على جميع شعوب الأرض في « المدخل » الذي كتبه لعم الاجتماع ، قبل نحو مبعة عقود من السنين ، وانتقد انتقاداً لازعاً المبالغات المفرطة التي كانت تلقب فرنسا بلقب « محبرة الأمم » ، والتي كانت تدعى بأن اندراس باريس يعنى انطفاء مشعل المدنية .

انا لا أشك في أن مثل هذه المبالغات التي استثارت انتقادات هذا الفيلسوف عندئذ ، قد أصبحت أشد بعداً عن الحقيقة الآن ، وأجدر بالانتقاد الشديد في هذا الزمان .

لا أنكر ان فرنسا كانت أرقى بلاد العالم في دور من أدوار التاريخ ؛ هذا الدور هو العهد الذي يمتد بين أواسط القرن السابع عشر وأواخر الثامن عشر ، وأعرف أن البعض من المفكرين الذين استعرضوا تاريخ أوروبا استعراضاً فلسفياً ، ولاحظوا تتابع دور الاقطاع ودور الانبعاث « قد سمو الدور الذي نحن بصددده باسم « الدور الفرنسي » ؛ غير أنني أعرف أيضاً أن ذلك الدور قد مضى وانطفئ في أغوار التاريخ منذ مدة طويلة ؛ لأن حالة أوروبا وحالة العالم تبدلت تبديلاً هائلاً خلال القرن التاسع عشر ، فلم تستطع فرنسا أن تحتفظ بمزدها السابقة بين هذه التبدلات والتقلبات العالمية الهائلة . أنا لا أود أن أقول : ان فرنسا تأخرت منذ ذلك الحين ؛ غير أنني أقول أن أمماً ودولاً أخرى قامت ونهضت وتقدمت بسرعة هائلة منذ ذلك العهد فأخذت تتسابق مع فرنسا تسابقاً عنيفاً في جميع ميادين التقدم والرقى ... وقد لحقها في معظم الميادين ، بل سبقها في بعض الميادين . فقد خرجت الحضارة المصرية من سيادة فرنسا المعنوية منذ مدة غير قصيرة ، ففقدت فرنسا بذلك مكانتها السابقة بصورة قطعية .

المختلفة . فإمها آمنت استعمارها للجزائر بحيث شتى الانقلابات السياسية ، واستولت على تونس سنة ٨٨٢ ، وبسطت حمايتها على مراکش سنة ١٩١١ ، واستولت على سورية ، وآمنت استعمارها للمغرب الأقصى بعد الحرب العالمية ... وقد توالى خلال هذه المدة الطويلة عدة أجيال ، ونشأ وتنازع في غضونهما عشرات الأحزاب ، وتولى الأمر فيها عشرات وعشرات من الحكومات المتضاربة النزعات ... ومع كل هذا ، لقد ظل « العمل الاستعماري » هو هو ، دون أن يتوقف أو يتغير من جراء تبدل نظم الحكم ، أو تعاقب الحكومات وتوالى الأجيال ... فلا يجوز لنا أن نسلم بأن « الاستعمار الفرنسي » من أعمال حكام فرنسا ، فلا يعتبر الشعب الفرنسي مسؤولاً عنه ... »

هذا ، ومما يسترعى النظر ، أن معظم ما كتب في رثاء فرنسا وفي الدفاع عن ذلك الرثاء — في اللغة العربية — يظهر آثاراً افتتاناً غريباً بها ومغالاة شديدة في اعتبارها أرقى شعوب الأرض على الإطلاق ...

فقد قال أحد الكتاب « إن المساواة في العدل الاجتماعي لم نكد نتحقق في أمة من الأمم في كل أدوار التاريخ إلا في فرنسا » ... كما قال كاتب آخر : « لم يثر ثائر على الاستعمار في مشرق أو مغرب إلا وفي روجه جذوة من النار التي أوقدها باريس للغضب على استعباد الشعوب » .

وقال أحدهم « لا أعرف فرداً قد ربي فيه الوازع الشخصي بمثل ما ربي في الرجل الفرنسي » .

وقد صاح أحد الكتاب قائلاً : « إن قوة الألمان فيض من قوتك يا باريس » كما خلع كاتب آخر على فرنسا سلسلة نعمت خاطرة مثل « مبعث النور والحربة ومهد الاختراعات »

إن معظم هذه المدعيات تحالف الحقائق الراهنة بمغالاة صريحة ، كما ان ما تبقى منها ينطوي على مغالاة صارخة ...

فإن التاريخ يذكر لنا عشرات الثورات التي قامت قبل ثورة باريس المملومة . والفرنسيون أنفسهم يعترفون بأنهم تأخروا كثيراً في تحقيق المساواة في العدل الاجتماعي . كما أن معظم مفكرهم يشكون بمرارة ضعف الوازع الشخصي في نفوس

القضايا الكبرى في الاسلام

١٥ - قتل الوليد بن يزيد

للأستاذ عبد المتعال الصعدي



في سنة ست وعشرين ومائة ناز يزيد بن الوليد المُلقَّبُ بالناقص على الوليد بن يزيد فقتله ، وكان الوليد بن يزيد من فتيان بني أمية وظرفاتهم وأجوادهم وأشدائهم ، مُهَمَّكًا في اللهو والشرب وسماع الغناء ، وكان يزيد بن الوليد يظهر الشُّكَّ ويتواضع ، وهو الذي يقال فيه وفي عمر بن عبد العزيز : الناقص والأشجع أعداء بني مروان . أي عادِلًا لهم ، ولا يمحرون أفضل التفضيل على بابِه ، لأنَّها تنتضي نسبة العدل إلى غيرهما من بني مروان ، ولم يكن في بني مروان عادل سواهما . وهكذا يقرن التاريخ ذلك الناقص بعمر بن عبد العزيز في العدل ، مع أن عمر بن العزيز لو عاش إلى زمانه ما فعل فعله في قتل ابن عمه من غير تحقيق في أمر ما نسب إليه ، ولم يقيم حول الوليد من الأخبار التي لا تمحيص فيها ما يسوغ الإقدام على قتله ، وما يُشكِّكُ الناس في دينه من غير روية ولا تثبيت ، والقضاء أدق من التاريخ نظرًا ، وأقوى منه تثبيتًا ، لأنَّه لا يحكم إلا بالبينّة العادلة ، والأصل عنده البراءة ما لم تقم أدلة

مع هذا لا تزال تتمسك بالشهرة التي كانت اكتسبتها سابقًا ، بالرغم من حرمانها من التفوق الذي كانت أحرزته قبلًا في هذا المظهر .

إنني أشبه منزلة فرنسا وشهرتها المزعومة بمكانة « الوجوه والأعيان » الذين يتمتعون في بعض المجتمعات بشهرة المكانة التي كانوا امتازوا بها قبلًا ، دون أن يعترفوا بسمو المكانة التي قد أحرزها غيرهم بكل جدارة واستحقاق .

وكما أن بعض الناس يتأثرون — عادة — بالشهرة السابقة دون أن يلتفتوا إلى « الحالة اللاحقة » فإن بعض كتابنا ظلوا تحت تأثير شهرة فرنسا السابقة ، دون أن يعرضوا هذه الشهرة إلى حكم الأحوال الحالية ويزنوها بالموازين الجديدة .

(البقية في العدد القادم)



قاطعة على الإدانة ، فيجب أن يدرس ما نسب إلى الوليد درسًا قضائيًا ، وأن يرجع إلى تحقيق ما نسب إليه من تهم ، ليتبين أمر الوليد في ذلك بيانًا عادلًا ، ولا يزل به إلى ذلك الحضيض الذي نزل به التاريخ إليه ، ولينبين أمر ذلك الناقص الذي يشبه الناس بعمر بن عبد العزيز ، ولم يكن من ذلك الملك العادل في شيء ، وإنما كان الذي يشبهه في زمنه أخ له لم يطمع في الملك طمعه ، وسيكون قوله في هذه القضية هو القول الفصل .

كان يزيد بن عبد الملك قد جعل الأمر من بعده لأخيه هشام ابن عبد الملك ، ثم جعل الأمر من بعده هشام لابنه الوليد ، وكان سن الوليد في ذلك الوقت إحدى عشرة سنة ، وقد عاش أبوه يزيد ذلك حتى بلغ خمس عشرة سنة ، فكان يقول له : الله بيني وبين من جعل هشامًا بيني وبينك . وكأنه كان يعرف ما سيلقاه ابنه من أخيه هشام ، فإنه لم يكذب بقول الملك بعد أخيه يزيد حتى أراد الوليد على خلع نفسه من ولاية العهد ، ليحجم الأمر من بعده لابنه مَلَمَّةً فأبى الوليد ذلك كل الإباء ، فتنكر له هشام وأضرَّ به ، وجعل يشيع حوله أخبار السوء لتسقط منزلته عند الناس ، وكان يزيد يقول الشعر في الخمر والنزل ، وله في ذلك أشعار جياذ كانت أبو نواس يأخذ منها ، ويحذو حذوه فيها ، وهذا إلى شغفه بسماع الغناء ، وانصرافه عن الناس إلى مجالسه بين أبواب ذلك الفن ، فوجد هشام في ذلك مرتعًا خصيصًا للترئيد على الوليد ، وتنقيصه عند الناس بما يشيعه حوله ، حتى جعل كثيرًا منهم ينظرون إليه نظرة سوء ، ويتهمونوه في دينه وعرضه ، ولكنه على اجتهداه في ذلك لم يقدر أن يثبت عليه شيئًا يمكنه من خلعهم من ولاية العهد ، مع أن ملكه استمر من سنة خمس ومائة إلى سنة خمس وعشرين ومائة .

فلما ملك بعده الوليد بن يزيد لم يقس ما فعله معه عمه هشام ، فأساء إلى أولاده ، وأخذ سليمان بن هشام فضربه مائة سوط وحق رأسه ولحيته وغرَّبه إلى عَمَّان من أرض الشام ، وكذلك أساء إلى أولاد عمه الوليد بن عبد الملك ، ففرق بين روح بن الوليد وامراته ، وحبس عدة من إخوته ، فأخذوا يرمونه بالكفر ، ويشيعون بين الناس أنه ينشئ أمهات أولاد أبيه ، إلى غير ذلك من التهم التي ستأتي بعد ، وكان أشدهم في ذلك يزيد بن الوليد ،

الطريق ، فأخذوه قهراً إلى جيشهم . وأكروه على البيعة لأخيه يزيد ، ونصبوا له راية وقالوا : هذه راية العباس قد بايع لأمر المؤمنين يزيد . فقال العباس : إنا لله ، خدعة من خدع الشيطان ، هلك بنو مروان . فنفروا الناس عن الوليد حين رأوا راية العباس وتم الأمر ليزيد بهذه الخدعة المأكرة .

فلما رأى الوليد ذلك ظاهراً بين درعين ، وركب قرسه السنان ، وقتلهم قتلاً شديداً ، فناداهم رجل : اقتلوا عدو الله قتل قوم لوط . ارجعوه بالحجارة . فلما سمع ذلك دخل القصر وأغلق عليه الباب ، فأحاطوا به من كل باب ، وضيقوا عليه ، فدنا من الباب وقال : أما فيكم رجل شريف له حسب وحياء أكله ؟ فقال يزيد بن عنبسة السككي : كلني . فقال : يا أبا السكك ، ألم أزد في أعطياتكم ، ألم أرفع المؤن عنكم ، ألم أعط فقراءكم ، ألم أخدم زمانكم . فقال يزيد بن عنبسة : إنا ما ننقم عليك في أنفسنا ، إنما ننقم عليك في انتهاك ما حرم الله ، وشرب الخمر ، ونكاح أهوات أولاد أهلك ، واستخفافك بأمر الله . فقال : حبك يا أبا السكك ، فلمعري لقد أكرمت وأغرقت ، وإن فيما أحل الله سعة عما ذكرت .

ثم رجع إلى داخل القصر وجلس وأخذ مصحفاً فنشره يقرأ فيه ، وقال : يوم كيوم عثمان . فصعدوا على الحائط ووزلوا إليه فاحتزوا رأسه ، وكان آخر كلامه : الله لا يرتق فتقكم ، ولا يلم شعثكم ، ولا يجمع كتفكم . ثم ساروا برأسه إلى يزيد بن الوليد فأمر بنصبه ، فقال له يزيد بن فروة مولى بني مُرَّة : إنما تنصب رؤوس الخوارج ، وهذا ابن عمك وخليفة ، ولا آمن إن نصبته أن ترقى له قلوب الناس ، ويفض ب له أهل بيته . فلم يسمع منه ، ونصب الرأس على رمح فطافوا به دمشق .

وقد أكره الناس قتل الوليد بن يزيد بهذا الشكل ، وثار لقتله أهل حمص وأهل فلسطين وغيرهم ، واضطرب أمر بني مروان اضطراباً كبيراً ، وعجل الله بأيام يزيد بن الوليد ، فلم يدم له الملك إلا خمسة أشهر واثني عشر يوماً ، ولم يدم أمر بني مروان بعده إلا سنين تعد على الأصابع .

فإذا أخذنا في قصة الوليد بن يزيد بهذا السياق ، وهو قائم على وقائع تنطق بنفسها ، وجدنا أنه لم يزد أمره عن غيره من بني مروان ، وأنه كان سائراً على سنتهم في الملك ، أخذاً بطريقهم في سياسة الناس ، ووجدنا أن يزيد بن الوليد لم يخرج عليه لأخذه بسنة أبائه ، لأن الناس كانوا قد ألفوها على ما فيها من إرهابهم ،

وكان الناس إلى قوله أميل ، لأنه كان يظهر السك ويتواضع ، فإذا أردنا تحقيق ذلك على الأجمال وجب أن نرجع فيه إلى رجل من بني أمية كان له خطره بينهم في ذلك الوقت ، وهو العباس ابن الوليد أخو يزيد بن الوليد ، وكان أمر أصدق ، ولم يكن في بني أمية مثله ، لأنه كان يتشبه بعمير بن عبد العزيز فرأيه في ذلك يرجح كل رأى ، لتلك الصفات التي تحمله على قول الحق ، ولأنه أخو يزيد بن الوليد فلا يتهم في شهادته عليه .

وقد مشى إليه أخوه يزيد فشكا إليه ما يجري على الناس من الوليد بن يزيد ، فقال له : يا أخي إن الناس قد ملوا بني مروان ، وإن مشى بعضكم في إثر بعض أكلتم ، والله أجل لا بد أن يبلغه ، فانتظروه .

ثم مشى إليه مرة أخرى هو وأخوه بشر بن الوليد ، فكلمه بشر في أن يخلع الوليد بن يزيد ، فنهاه عن ذلك ثم قال له : يا بني مروان ، أظن أن الله قد أذن في هلاككم ، ثم قال :

إني أعيذكُم بالله من قن

مثل الجبان تَسَاسَى ثم تَنَدَفَعُ

إِنَّ البريةَ قد مَلَّتْ سياستكم

فاستمسكوا بعمود الدين وارْتَدَعُوا

لَا تُلْجِمَنَّ ذَنَابَ الناسِ أنفُسكم

إِنَّ الذَّنَابَ إِذَا مَا أَلْجَت رَتَمُوا

لَا تُبْقِرَنَّ بِأَيْدِيكم بطونكم

فَقَسَمَ لَا حَسْرَةَ تُنْفِي وَلَا جَزَعَ

ثم عاوده يزيد مرة أخرى وكان قد أجمع أمره ، وعزم على اللعنة لنفسه ، فشاور يزيد بن عمر الحَكَمِيَّ فقال له : لا يباليك الناس على هذا وشاور أخاك العباس ، فإن بايعك لم يخالفك أحد ، وإن أبى كان الناس له أطوع ، فإن أبيت إلا المضي على رأيك ، فأظهر أن أخاك العباس قد بايعك . فأتى يزيد أخاه العباس فاستشاره فنهاه عن ذلك ، فرجع وبايع الناس سرّاً وبث دعائه بينهم ، ثم عاود أخاه العباس فاستشاره ودعاه إلى نفسه ، فزجره وقال له : إن عدت لثل هذا لأشدنك وثاقاً وأحلتك إلى أمير المؤمنين نخرج من عنده فقال العباس : إني لأظنه أشأم مولود في بني مروان .

ولما قامت الحرب بين الوليد ويزيد كتب العباس إلى الوليد إني آتيك ، فلما علم بذلك جيش أخيه أرسل من وقف له في

الغراء ، وكلها بهم إذا فتح لها التاريخ بعض صحائفه ، لأنه يروى كل سنين وغث ، فإن القضاء لا يمكن أن يؤاخذ الوليد بها ، لأنه لا يؤاخذ الشخص في دينه بما يقوله غيره عنه ، وإنما يؤاخذ بما يقربه على نفسه ، وقد تبرأ الوليد من هذه التهمة الشنيعة التي تلتصق به ، فلا يمكن القضاء أن يؤاخذ بها ، لأنه يتخرج مما لا يتخرج منه التاريخ ، وقد وضعت في يده رقاب الناس ، فلا يمكنه أن يحازف فيها ، ولا يستبيح أن يحكم فيها إلا بما يراه يقيناً . ولو أن هذه التهمة التي تلتصق بالوليد قدمت إليه لعاقب أصحابها عليها ، لأنه ليس عندهم ما يشتمها ، فيعدها من القذف الذي يماقب عليه ، حفظاً لأعراض الناس ، وصوناً لأصحاب المروءة والشرف .

ويكنى في براءة الوليد من تلك التهمة الشنيعة وقوف العباس ابن الوليد ذلك الموقف منه ، وهو ذلك الرجل التقى الصادق ، وقد كان أشبهه بنى أمية بعمربن عبد العزيز لا أخوه يزيد الناقص ، وهو الذي كان يجب أن يقرن إليه في ذلك القول المشهور — الناقص والأشجع أعداء بنى مروان — لأن الناقص لم يكن أمره في شيء من أمر عمر بن عبد العزيز .

وقد أنكر قوم ما قيل في حق الوليد من ذلك ، وقالوا إنه قيل عنه وألصق به وليس بصحيح . قال المدائني : دخل ابن لاعمير ابن يزيد أخ الوليد على الرشيد ، فقال له : بمن أنت ؟ فقال : من قريش . قال : من أيها ؟ فأمسك ، فقال : قل وأنت آمن ولو أنك مرواني . فقال : أنا ابن لاعمير بن يزيد . فقال الرشيد : رحم الله عمك ولعن يزيد الناقص وقتله عمك جيما ، فإنهم قتلوا خليفة جمعا عليه ، إرفع إلى حوائجك . فرفعها إليه قضاها .

وقال شبيب بن شبة : كنا جلوساً عند المهدي فذكروا الوليد ، فقال المهدي : كان زنديقا ، فقام أبو علانة الفقيه فقال : يا أمير المؤمنين ، إن الله عز وجل أعدل من أن يولى خلافة للنبوة وأمر الأمة زنديقا ، لقد أخبرني من كان يشهد في ملاعبه وشربه عنه بمروءة في طهارته وصلاته ، فكان إذا حضرت الصلاة يطرح ثياباً كانت عليه من مطيئة ومصبغة ، ثم يتوضأ فيحسن الوضوء ، ويؤتي بتياب نظاف بيض فيلبسها ويصلي فيها ، فإذا فرغ عاد إلى تلك الثياب فلبسها ، واشتغل بشربه ولهو ، أفهذه أفعال من لا يؤمن بالله ؟ فقال المهدي : بارك الله عليك يا أبا علانة .

عبر المتعالم الصغير

فلم يكن في أخذ الوليد بها ما يثيرهم عليه ، وقد سار عليها يزيد بعد قتل الوليد ، فتشكى من رأسه ذلك التشكى ، وعسف بأولاده وأنصاره كما كان يعسف الوليد وغيره من بنى مروان ، ولو أنه خرج عليه لأنه يريد تغيير تلك السياسة كما غيرها عمر بن عبد العزيز ، لكان له في ذلك بعض العذر ، ولكن له فيه غرض شريف ، ولكنه كان يريد الملك لا أكثر ولا أقل ، فملك إليه ذلك الطريق الشائك ، ولم يجد إلا أن يقاى في أمر الوليد ، ويلصق به من أشنع التهم ما يلصق ، ليثير العامة عليه ، ويصل بذلك إلى غرضه في الملك . ولقد كان عمه هشام أشرف منه خصومة ، وأقل منه حرصاً على ذلك المنصب الرائل ، فلم يستبح لنفسه أن يخلع الوليد من ولاية العهد على غير إرادته ، وخشى من ذلك ما لم يحشه يزيد ، وقد نصحه أقرب الناس إليه فلم ينتصح ، وحذر مما يقدم عليه فضى فيه ولم يلتفت إلى نصيح ناصح .

فهل بعد هذا نصدق شيئاً من تلك التهمة الشنيعة التي ألصقتها أشياعه بالوليد ليصلوا بها إلى مآربهم ، وليرضوا الناس بعد أن غضبوا لقتلهم إياه ؟ وهل نصدق ما يروونه من أنه فتح المصحف يوماً فخرج فيه (واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد) فألقاه ورماه بالسهم وقال :

مَهْدُدُ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ فَهَإِنَّكَ جَبَّارٌ عَنِيدُ
إِذَا مَا جِئْتَ رَبِّكَ يَوْمَ حَشِيرٍ فَقُلْ يَا رَبِّ مَرْقَنِي الْوَلِيدُ

وهل بعد هذا نصدق ما رواه العلاء بن البندار من أنه كان زنديقا ، وأن رجلاً من كلب كان يقول بمقالته مقالة الشنوية ، فدخل عليه العلاء يوماً وعنده ذلك الكلب ، وإذا بينهما سفظ قد رفع رأسه عنه ، فإذا ما يبدؤ له منه حرير أخضر ، فقال الوليد : ادن يا علاء . فدنا فرفع الحرير فإذا في السفظ صورة إنسان ، وإذا الزئبق والنوشادر قد جملا في جفنه ، فهو يطرف كأنه يتحرك ، فقال له الوليد : هذا ما ، لم يثبت الله نبياً قبله ، ولا يثبت نبياً بعده . فقال له : يا أمير المؤمنين ، اتق الله ، ولا يفرنك هذا الذي ترى عن دينك . فقال الكلب : يا أمير المؤمنين ، ألم أقل لك إن العلاء لا يحتمل هذا الحديث .

وهناك تهم أقبح من هذه التهمة تلتصق بالوليد ، يحجم القلم حياء عن ذكرها ، ولا يرى أن يلوث بها صفحات مجلة الرسالة .

ومن التناقضات في ريفنا المصرى أن زيادة الخير معناها انتشار المرض . ففي شمال الدلتا حيث الرى الصينى ، والماء الوفير ، والزراعة المنتشرة وباء الطفيليات من بلهارسيا وانكلستوما وغيرها من الأمراض الشديدة الفتك بالفلاح بخلاف ما يشاهد في البلاد القليلة الخير التي تروى بالحياض .

ولا يسبب مرض البلاجرا أمراض الجنون ، ولكنه يظهرها عند المتعدين للإصابة بواحد منها ؛ فهو يضعف الجسم ويجعل الإنسان في حالة عصبية سيئة تكشف عن علل جسمه الكامنة ، فلا يلبث أن تظهر عليه أعراض الجنون وتخسر الأمة جهده ، كما تخسر ثقها بنفسها إذ يرفع نسبة المجانين فيها .

لفت هذا المرض نظر قسم الكيمياء الحيوية كما استرعى انتباهه علاجه التبغ في أمريكا . وعلى ضوء اختلاف البيئة والغذاء عندنا وعندهم خالفهم في العلاج أيضاً وأثبت أن علاج الأمراض يجب أن يتبع سياسة قومية لا سياسية تقليدية . ولئن اتفق المرض في جوهره فإنه يختلف في تفاصيله باختلاف البيئة من جو وتغذية . ففي أمريكا تكون البلاجرا مصحوبة بنقص ثلاثة أنواع من الفيتامين المعروف باسم مركب (ب) أما في مصر فأغلب الحالات ينقصها فيتامين واحد من هذه المجموعة وهو حامض النيكوتين . وفي سنة ١٩٤٦ أجرى القسم التجارب لاختبار نظريته فهدى إلى أحد تلاميذه الدكتور شوقي مبرى بوزارة الصحة تطبيق النظرية طبياً فحجربها في ٤٨ حالة عالجها كلها بفيتامين حامض النيكوتين فشفيت جميعها في مدة لا تتجاوز اسبوعاً واحداً . وكان نجاحه مؤيداً لنظرية الدكتور على حسن . وأنيح بواسطته توفير نفقات العلاج بالفيتامينات الأخرى .

وكانت خطوته الموقفة برهاناً ساطعاً على وجوب بحث أمراضنا بحثاً علمياً . فلا يجوز أن تقلد العلماء الأجانب فيما يوقنون إليه تقليداً أعمى ؛ بل علينا أن نستفيد من تجاربهم بما يتفق وحاجة بلادنا . وأصلح أناس يؤدون هذا العمل هم إخواننا في فهم أدرى بحالة البلاد من سواهم ، فنبدأ هذا العلاج في سنة ١٩٤٦ لم تشذ عنه إلا حالة واحدة .

إنتاج البصلين بسرعة

حار الكيماويون في إيجاد طريقة سريعة يحققون بها البصلين

هذا العلم المتغير

للاستاذ فوزى الشنوى

البلاجرا قد تؤدي الى الجنون

تصور قرية عدد سكانها ٥٠٠٠ نسمة ، منهم ٥٠٠ مصابون بالبلاجرا فلا يستطيعون الحركة ، فضلاً عن حالة الاضطراب العصبي التي ترهقهم . فكيف تخسر القرية المصرية بفقدائها ١٠٪ من أيديها العاملة فقداناً كاملاً ؟ وكيف تخسر هذه القرية أيضاً من وقت يبدله الآخرون في العناية بهؤلاء المرضى ؟

يود الدكتور علي حسن أستاذ الكيمياء الحيوية بكلية الطب لو يتاح له الوقت فيقدر هذه الخسائر بالأرقام ، ويبين للأمة كم تخسر من الأموال كل سنة بانتشار هذا المرض الخبيث الذي يصيب سكان بعض القرى بنسبة تتراوح بين ١٠ و ١٠٪ من سكانها تبدأ عوارض هذا المرض بالآلام في السلسلة الفقرية واضطراب في الهضم ، وضعف عام ينتاب الجسم كله . فان استمر سوء التغذية احمر الجلد وجف .

والمسئول الأول عن هذا المرض هو الطفيليات وإن لم تكن هي سببه المباشر ؛ فالإصابة بالبلاجرا نتيجة لسوء التغذية أو بالتعبير الطبي نقص في كيات الفيتامين في الجسم وهو الفيتامين المبروف باسم حامض النيكوتين .

وسوء التغذية كما يقول رجال قسم الكيمياء الحيوية بكلية الطب بمصر يرجع إلى عاملين يؤدي أحدهما إلى الإصابة بالمرض وأولهما خارجي بأن لا يجد المريض حاجته من المواد الغذائية ، والثاني داخلي وهو أن يصاب الإنسان بطفيليات تحرمه من المقدار اللازم لغذاء جسمه بأن تتغذى الطفيليات بطعامه . وفي مصر أكثر المصابين بالبلاجرا مصابون أيضاً بالطفيليات .

لا وما يؤسف له أن تنتشر الطفيليات في بعض قرانا بنسبة مزعجة تصل إلى ٩٠٪ من عدد السكان . فان أراد الطبيب علاج البلاجرا أو أى مرض أخفقت الطفيليات علاجه مما يستنفد وقته وعقايره ومال الدولة أيضاً .

وقال الدكتور فردريك ما كاي إن إضافة الفلورين إلى مياه الشرب يقلل تلف الأسنان في الأمة إلى نصفها .

وتجرى الآن في كنجستون ونيوبوروف في ولاية نيويورك تجربة واسعة النطاق ينتظر أن تمتد إلى عشر سنوات وهدفها اختبار قدرة الفلورين في مياه الشرب على منع فساد الأسنان .

وتحتوي مياه نيوبوروف في مياهها العادية على فلورين نسبته واحد من المليون . ويضاف إليها مقادير أخرى منه حتى تصل نسبته إلى واحد في المليون . أما مياه كنجستون فلا تحتوي على فلورين على الإطلاق ؛ وعلى أساس إصابات الأسنان بالأمراض في البقعتين ودراستها دراسة طبية يستطيع العلماء تقدير فائدة الفلورين في الماء أو ضرره . على أن الإحصائية التي يريد العلماء الأخذ بها هي نتيجة السنة الثامنة عند ما تكون الأمراض للقديمة قد أزيلت والأسنان أخذت حاجتها من مناعة الفلورين .

أبناء العظماء ومستقبلهم

قلما يصل الأبناء إلى أوج الشهرة التي وصل إليها آباؤهم . وذلك تبعاً لتقرير كتبه البروفسور جوزيف شيدر في مجلة الأبحاث الاجتماعية الأميركية فقال فيه أن أبناء الوزراء نادراً ما يصبحون وزراء معروفين وكذلك أبناء الأطباء ورجال الدين . وقد قارن الباحث بين ميول الشمين الإنجليزي والأميركي مستمداً على إحصائيات استقاها من عام ١٦٠٠ إلى الآن فوجد أن المشهورين من الأميركيين كانوا يخرجون غالباً من الطبقة المغمورة ويصلون إلى أوج رفعتهم عن طريق الأعمال أو الفلاحة أو السياسة أو الصحافة أو الأعمال الفنية .

ووصل أكثر مشاهير الإنجليز إلى مراكزهم عن طريق الدين وكتابة سير الأفراد أو الرسائل الأدبية ، وقال إن ٤٥ في المائة من مشاهير الرجال في الولايات المتحدة زاولوا أعمالاً ما كان يظن أنها ترفع من شأنهم . أما أبناء الطبقة المنتخبة في الولايات المتحدة فقد اكتسبوا الشهرة عن طريق السياسة أو الحرب بينما وصل أربعة أخماس أبناء الفنانين إلى مراكزهم الرفيعة عن طريق الفن وكتابة الرسائل .

فوزى الشوى

حتى يتيسر لهم إنتاج كميات كبيرة تكفي حاجة العالم إلى هذا العقار الهام في مكافحة الأمراض . وكان تعريضه للطرق العادية السريعة لتبخير مائة يقتل العقار ويجعله عديم القيمة .

وقد توصل أحد المصانع إلى استنباط طريقة كهربائية يحفف بها البسليين في نصف ساعة ، وهي عملية كانت تحتاج إلى يوم كامل . واستعانوا لتحقيق أغراضهم بالذبذبات اللاسلكية .

وتتلخص هذه الطريقة في وعاء مفرغ من الهواء تثبت فيه دوارات تلف بسرعة ٣٠٠٠ لفة في الدقيقة وتعمل الأحزمة المعدنية بين الدوارات كصفائح كهربائية . وبهذا تيسر إغلاء العقار في درجة ٥٠ فهرنهايت بغير أن يعيبه أى تلف .

ومن تجارب تحفيفه السابقة استخدام الجليد في أوان مفرغة من الهواء .

معالجة الأسنان بمياه الشرب

يتجه بعض العلماء الآن إلى علاج أمراض الأسنان بالجملة وذلك بإضافة مادة الفلورين إلى مياه الشرب . فقد اجتمع أخيراً في معهد نيويورك لقيف من الإحصائيين في أمراض الأسنان والصحة العامة ودرسوا النتائج التي توصل إليها بعضهم . وأخيراً قرر خمسة منهم أن استعمال الفلورين في مياه الشرب كمادة ممانعة لتلف الأسنان ووقاية الصحة يحتاج إلى تجارب قد تمتد إلى عشر سنوات أخرى ومن النتائج التي وصل إليها الطب الحديث ما قاله الدكتور فرنديل دين عن تجربة أجريت عن ٧٢٥٧ تليداً تراوح أعمارهم بين ١٢ و ١٤ سنة عاشوا طول حياتهم يشربون من المياه المكررة العادية في المدن ثم أضيف إلى المياه التي يشربونها نسبة ضئيلة من الفلورين قيمتها واحد إلى مليون فقلت نسبة إصابتهم بأمراض الأسنان إلى تلك نسبة الإصابات في جماعة أخرى تماثلهم في العدد وتشرب الماء المكرر العادي .

وقال الدكتور والاس أومسترونج إن الفحص الطبي للأسنان دل على أن السليعة منها تحتوي على كمية أكبر من الفلورين عن الأسنان الثالثة . وأيده الدكتور بازل بيل فقال إنه أجرى ست دراسات على تغطية الأسنان بأحد مركبات الفلورين فقلت نسبة التلف في الأسنان من ٢١ إلى ٥٠ ٪ بعد استعمال الفلورين من مرتين إلى ١٥ مرة .

« وأعتقد الآن أن جريكول هو المصيب وأن المدسة هي المخطئة لأن خيوله تظهر كأنها تمدو . ويتبين ذلك عندما ما يتبع الناظر اللوحة من اليمين إلى الشمال ، فيرى أول ما يرى القوائم الخلفية تنجز ذلك الجهد الذي تنشأ



٦ - الفن

للطاب الفرنسي بول مبرزيل
بقلم الدكتور محمد بهجت

عنه القوة الدافعة العامة ، ثم يرى بقية الجسم ينسبط ويتمطط ، وأخيراً يرى القاعنتين الأماميتين ممدودتين وهما تهويان إلى الأرض . وهذا خطأ في الواقع ، لأن هذه الحركات لا يمكن أن تحدث في وقت واحد ، ولكنه صواب إذا ما لوحظت الأجزاء على التتابع ، وهذا الصديق وحده هو الذي يعني لأنّه هو الذي نراه وتتأثر به . لاحظ إلى ذلك أن المصورين والثالين الذين عندما يؤلفون بين الأوجه المختلفة لحركة ما في صورة أو تمثال معين لا يتولون في ذلك على حكم العقل أو المهارة الفنية ولكنهم يعبرون بكل بساطة عما يشعرون به فترى عقولهم وأيديهم كأنما تنساق في اتجاه الحركة فيعبرون عن تطورها بالفريزة .

ورى هنا - كما هو الحال في كل ميادين الفن - أن الإخلاص وحده هو القاعدة الوحيدة « صمت برهة طويلة أفكر فيما قاله لي إلى أن قطع صمى بسؤاله : « ألم أفعلك ؟ »

نعم ، بالطبع . ولكنني عندما أتأمل تلك المعجزة ، معجزة التصوير أو النحت التي يمكنها أن تجمع في جسم واحد حركة تدوم عدة لحظات ، أقول عندما أتأمل ذلك أسائل نفسي إلى أي حد يتسنى للتصوير والنحت أن ينافسا الأدب - والمرح بوجه خاص - في تسجيل الحركة . ولا يعني إلا أن أقول في صراحة إنني أميل إلى الاعتقاد أن مثل هذا التنافس لا يمكن أن يجري لشوط بعيد ، وأن رجال الرشة والإزميل لأشد قصوراً في هذا الميدان من رجال القلم ، فقال رودان :

ليس قصورنا كبيراً كما تظن . وإذا كان باستطاعة التصوير والنحت أن يهبا الأجسام الحركة في مقدورها أن يأتيا بأكثر من ذلك ؛ بل ويستطيعان في بعض الأحوال أن يجازيا الفن الراما طين في إظهار عدة مناظر متتابعة في نفس اللوحة أو مجموعة التماثيل « فأجبت :

« نعم . ولكنهم يدلسون بعض الشيء . لأنني أظنك تتكلم عن تلك الصورة القديمة التي تعرض تاريخاً شاملاً لشخص معين فتظهره

إن ما يعيب بعض المصورين المعاصرين عندما يريدون تصوير خيول تمدو هو أنهم يمثلونها في أوضاع أخذت في لمح البصر .



سباق إسوم (للمصور جريكول)

انتقد جريكول (Gericault) لأنه صور بلوحته الموجودة باللوفر وهي « سباق إسوم » خيوله تمدو وقد تمططت جسموها حتى لتكاد تلامس بطونها الأرض ، رامية بقوائمها الأمامية إلى قدام وبالخلفية إلى وراء في نفس اللحظة . ويقال إن لوح الفوتغرافية الحساس لا يعطي مثل هذه النتيجة . وحقيقة ما نرى في التصوير الفوتغرافي هي أنه عندما تكون قوائم الحصان الأمامية إلى قدام يكون للقوائم الخلفية التي دفعت الجسم إلى الأمام بطبيعة وضعها وقت لتجتمع تحت الجسم لإعادة الكرة ، فتكون بذلك القوائم الأربع متجمعة مع بعضها في الهواء في وقت معين ، ويبدو الحيوان كأنه يقفز من على الأرض وكأنه ينير حركته وهو في ذلك الوضع .

وإلى هنا لا تزال المرحلة الغرامية في مبتدأها . هذا هو المشهد الأول . وهاك الثاني : ترى إلى اليسار من ذلك زوجاً آخر . أما السيدة هنا فتقبل يد حبيبها الذى يعاونها على النهوض ، وقد أدارت ظهرها إلينا وتدلّت من رأسها ذؤابة من تلك الذوائب الشقاء الذهبية التى يصورها وآثر برشاقة ساحرة . أما المشهد الثالث فيقع إلى أبعد من ذلك بقليل . فقيه يضع الحب ذراعه حول خصر مالكة له ليجذبها إليه ويسير بها فتلفت إلى قرنائها الذين يحيرها تخلفهم ، ولكنها لا تلبث أن تنقاد في غير ما تأب . والآن ينزل المحبون إلى الشاطئ ويندفع الجميع إلى السفينة ضاحكين ولم يعد الرجال بحاجة إلى التوسل والتضرع ، وقد تشبّث السيدات بأذرعهم .

وأخيراً يعاون المحبون فانتاهم على الاستواء على ظهر السفينة الصغيرة التى تتأرجح على صفحة الماء كأنها الحلم الذهبى وقد أزيّنت بالأزهار وشارات خافقات من الحرير الأحمر . أما الملاحون فكيبون على مجاديفهم وهم على وشك التجديف . وثمت آلهة الحب الصغيرة تتقدمهم محمولات على أجنحة النسيم كأنما تقود المحبين إلى الجزيرة اللازوردية التى تلوح فى الأفق » .

« ألاحظ يا أستاذ أنك تحب هذه اللوحة لأنك تذكر كل دقائقها » .

« انها لمعة لا يستطيع المرء أن ينساها . ولكن هل لاحظت تطورات هذا التمثيل الصامت ؟ خبرنى بربك الآن : أيها أصدق فى تسجيل الحركات أهو المسرح أم التصوير ؟ حقاً إنه يصعب على المرء أن يقطع بقول فى هذا الأمر . فها أنت ترى أن الفنان لا يستطيع - إذا ما أراد - أن يصور الحركات العارضة فقط بل ويمثل فصلاً طويلاً على حد تعبير الفن الدراما طبق .

وليس عليه لإدراك النجاح سوى أن يضع أشخاصه بحيث يرى الناظر أول ما يرى منها أولئك الذين يبدأون العمل ، ثم الذين يمضون به ويستمررون فيه . وأخيراً يرى أولئك الذين ينهون ذلك العمل . أريد مثلاً فى التحت ؟ » وعند ذلك فتح كتاباً أخذ

عدة مرات فى أوضاع مختلفة على نفس اللوحة . فشلا توجد بمنحرف اللوفر لوحة زيتية إيطالية صغيرة يرجع تاريخها إلى القرن الخامس عشر تقص علينا تاريخ أوروبا على هذه الوثيرة . فترى فيها أول ما ترى الأميرة الصغيرة تلمب فى حقل نصير مع أربابها للواتى يعاونها على امتطاء صهوة الثور « جوبيتر » ، ثم زارها بعد ذلك مروعة وقد اختطفها الإله وغاص بها فى لجج اليم » . فأجاب رودان :

« هذه طريقة بدائية على الرغم من أن بعض الفحول من الفنانين مارسوها . فشلا عالم فيرونيز Veronese قصة أوروبا هذه بنفس الطريقة كما يتضح من لوحته الموجودة بقصر الدوقية بمدينة البندقية . ولكن على الرغم من هذا النقص فلوحة كاليارى Calari معجبة . وأنا لم أشر شئ إلى مثل تلك الطرق الصبائية لأنى لا أوافق عليها كما يمكنك أن تدرك ذلك . ولكى أجمل نفسى أكثر جلاء ووضوحاً يتحتم على أن أسألك أولاً عما إذا كنت تذكر لوحة واتو Watteau المسماة « ركوب السفينة إلى جزيرة سايتيرا » قلت :

« إنى لأذكرها تماماً كما لو كانت نصب عيني الآن » .

« إذاً سوف لا أجد صعوبة فى الإفصاح عن نفسى . فاذا تذكرت رأيت أن الحركة فى تلك اللوحة الفذة تبدأ فى الأمام إلى اليمين وتنتهى فى الخلف إلى اليسار . وتلاحظ أول ما تلاحظ فى مقدم اللوحة شخصين هما سيدة فائنة وعشيقها اللثيم جالسين تحت الظلال الوارفة قريبين من تثال نصفى لساپريس Cypris منمق بأضابير الورد وإكليله ، يشتمل الرجل بباءة مطرزة عليها قلب نفذ فيه سهم . وفى ذلك إشارة لطيفة إلى ما سوف يتجشمه فى هذه المرحلة الغرامية . تراه راكماً بجانبها يستميلها ويستعطفها فى حرارة ولكنها تقابل ضراغته بفتور ربما كان مصطنعاً ، وتظاهر كما لو كانت متشاغلة عنه بمأينة التهاويل التى على مروحيتها . ويجلس بالقرب كيوپيد Cupid صغير فوق كنانته وقد نمرى أكثره . يرى أن المرأة قد أمنت فى التدلل والتمتع فيجاذبها قيعها ليستلين فؤادها .

أما الشهد الثالث فيتكون من محارب قديم يترنم تحت أعباء عتاده ويجهد للحاق بهم ، إذ يتحتم على كل من يشعر من نفسه القوة أن يذهب إلى ميدان القتال . ثم هذا رجل هُزم قوست السنون ظهره يتبع الجنده بأدعيته وصلواته ، وتدل إشارة يده على أنه بعيد عليهم ناصحاً التي استخلصها لهم من تجاربيته الخاصة .

ويتكون الشهد الرابع من قواس يثنى ظهره التمعصل ليشد عليه سلاحه ، ومن يوق يرسل نداءه الثير إلى الجحافل ومن بنود تحقق ورماح مشرعة إلى الأمام . لقد صدر الأمر وأبتدأ الكفاح فعلا .

ونرى هنا أيضاً رواية مثلت أمام أعيننا ؛ ولكن بينما لوحة « ركوب السفينة إلى سايتيريا » تذكر المرء بهزليات ماريفو marivaux فإن المارسلين يذكره بمآسي كورنيل Corneille وإني لا أدري أى الاثنين أفضل ، إذ أرى في إحداها من الروعة والمبقرية بقدر ما أراه في الأخرى « ثم قال بعد أن حدجني بنظرة تحدة بما كره :

« أعتقد أنك سوف لا تقول بعد الآن بأن لا قيل للتصوير والنحت بمنافسة المسرح » فقلت له : « طبعاً كلا » ؛ وفي تلك اللحظة لمحت في الكتاب الذي أعاد إليه صورة المارسلين صورة شمسية أخرى لتتاله البديع المسمى « رهائن كاليه » ثم قلت :

« ولكيما أبرهن لك على أني أفدت من تعاليمك دعني أطبقها على عمل من أجل أعمالك ؛ لأنني أرى أنك أنت نفسك تطبق تلك القواعد التي كشفت لي عنها . فهنا في تتالك رهائن كاليه ^(١) ، Burghers of Calais أستطيع أن أرى منظرأ متتابعاً كالذي ذكرت من أعمال واتو وروود . فالتخص الذي في الوسط هو أول ما يسترعى النظر . وما من إنسان يشك في أنه (بوستاك سنت بير) . إنه يحني رأسه الجليل الذي يكمله شعر أريب طويل .

(١) الأمل في معنى كلمة Burghers هو « نواب » ولكنني استعوبت وضع كلمة « رهائن » بدلا منها .

يبحث فيه هنية ثم سحب منه صورة فوتوغرافية وقال :

« هاك المارسلين الذي نحتته رود ليوضع في جانب من نصب « قوس النصر » ، ترى « الحرية وقد لبست درعا نحاسية تشق الهواء بأجنحة منتشرة وترعد في صوت هائل : « إلى السلاح أيها المواطنون » . ترفع يدها اليسرى عالية تستحث بها الأبطال من حولها ، وتمسك بالأخرى سيفاً تصوبه نحو الأعداء . إنها بلارب أول ما تشاهد إذ أنها تسود المجموعة كلها . أما ساقاها المنفرجتان



تثال المارسلين (صنع التال رود)

التان تجملانها تبدو كأنها تجري فتخالها نعمة أضيفت إلى هذه الأنشودة الحرية السامية . وكأنني بصوتها القوى النبعث من فمها الحجري يشق صماخ الأذن ، فما لك من سماع صوتها من يد ، ولم تكذب ترمي دعوتها إلى الحرب حتى تدافعت الأبطال إلى الأمام . فهذا غوطى كأن شعره لبدة الأسد بلوح بمخوذته عالياً كأنه يحمي الآلهة وقد وقف ابنه الفتى الصغير إلى جانبه ممسكا بقبضة سيفه يستعطفه ليرافقه إلى ساحة الوغى وقد بدا عليه كأنه يقول : « أنا قوى كما يجب يا أبتاه ، إنني رجل ، أريد أن أذهب معك ، فيقول له أبوه وقد حدجته بنظرة عطف وخيلاء : « تعال » .

ولا ريب أن فيما ذكرت أعظم إثبات وتمضيد لأريك عن قيمة الحركة والناظر في الفن « فأجاب رودان :
لو لم يكن فيما تراه في عملي شيء من التلاوة لجزمت بأنك أدركت ما هدفت إليه تمام الإدراك . لقد قدرت (رهائني) كل التقدير ورتبتهم بحق تبعاً لمقدار بطولتها . ولكيما أظهر هذه الحال بأجلى مظهر أبدت رغبتني التي ربما تعلمها بأن تثبت تماثيل الواحد وراء الآخر على بلاط الميدان قبالة سراي بلدية كاليه لتكون أشبه بحلقة حية من الآلام والتضحية . لو أنها وضعت كذلك لبدت كأنها تخطو من دار البلدية إلى معسكر ادوار الثالث ، وشعر سكان كاليه اليوم عندما يخاطبونها في غدوهم ورواحهم شعوراً عميقاً بالتضامن أو الاتحاد التقليدي الذي يربطهم بأولئك الأبطال ، ولكن أتر ذلك بالغاً فيما أعتقد . ولكنهم رفضوا مقترحي وأصروا على وضع التماثيل على قاعدة قبيحة يقدر ما هي غير لازمة . إنهم كانوا مخطئين ، وأنا متأكد مما أقول » . فقلت «وا أسفاه . كأنما قدر على الفنان دواما أن يجاري الأفكار السائدة . وما أسمعده لو استطاع أن يحقق طرفاً من أحلامه الجميلة » .

دكتور محمد بهجت

ليس متردداً ولا خائفاً ، يتقدم بخطى ثابتة وقد أسبلت عيناه في صلاة صامتة . وإن كان يترحم قليلاً فإنما ذلك من جراء الشدائد التي عاناها أثناء الحصار الطويل . إنه هو الذي يُلهم الآخرين . إنه أول من تقدم من الرهائن الستة الذين يتوقف على اعدائهم انقاذ أبناء بلادهم من المذبحة المنتظرة ، وذلك حسب شرط الغزاة . أما المواطن الذي إلى جانبه فليس أقل منه شجاعة . ومع أنه لا يجوز لمصيره الخاص إلا أن شروط تسليم المدينة يسب له الماء ممضاً . وفي حين يقبض بيده الفتاح الذي يتحتم عليه تسليمه للإنجليز تراه يعلب كل جسمه كيما يجد من نفسه القوة على احتمال هذا اللعاب المحتوم . وإلى جانب هذين . وفي مستواهما ، نجد رجلاً أقل شجاعة منهما لأنه يسرع في مشيته فتقول عنه : أما وقد وطن نفسه على التضحية فإنه يتوق إلى تقصير الوقت الذي بقي على استشهاده .

ومن وراء هؤلاء يأتي رهينة آخر ممسكاً رأسه يديه ومسلماً نفسه لياس عنيف ، ربما كان يفكر في زوجه وأولاده أو في أحبائه أو فيمن سيشتق برزئه من مماته .

وتم رهينة خامس يحرك يده أمام عينيه كأنما يحاول بذلك أن يبدد كابوساً مرعباً أناخ على روحه ... إنه يتعثر ، ولا غرو فقد روعه الموت .

وأخيراً نرى الرهينة السادس وهو أصفرهم جميعاً . تراه كأنه متردد غير مستقر ، يقبض أسارير وجهه ثم يصاب . أهو طيف حبيته الذي يستحوز على أفكاره ؟ ولكن رفقاءه يتقدمون وها هو ذا يتبعهم ماداً عنقه كما لو كان يسلمه إلى سيف القدر .

ومع أن هؤلاء الثلاثة أقل شجاعة من الثلاثة الأول فإن نصيبهم من التقدير والإعجاب لا يقل بحال من الأحوال عنهم ، لأن إخلاصهم أدعى إلى التقدير والثناء . ويكلفهم أكثر مما يكلف الآخرين .

وهكذا يتسنى للمرء أن يتابع بدقة فصلاً تمثلياً في رهائن كاليه ، ذلك التمثيل الذي هو نتاج شعور وتأثر كل فرد منهم بنفوذ يوستاك دي ست بيير ومقدار اقتدائه به والنسج على منواله فيراهم المرء وقد أسلموا قيادهم إليه رويداً رويداً وقد قرر الواحد تلو الآخر أن يتقدم معه إلى الموت ليدفع ثمن مدينتهم .

سلي والعبيط

وبجي

هي قصة اليوم

قصة النفس الحائرة

قصة الأديب الشق السعيد

قصة الحياة كما هي

قصة الضحك والبكاء

دار المعارف للطباعة والنشر في ٢٧٢ صفحة

ثمنها ٢٥ قرشاً - تولى نشرها المؤلف

تطلب من : مكتبة المعارف ، والتهفة ، والانجلو ، والأهلية ،

والتيارية ، وغيرها .

المؤلف : إلياس عكاوي ١٧ شارع فؤاد الأول القاهرة

تليفون ٤٣٩٠٩

تمثلوا كلهم في ذلك الرجل

لنواز أحمد عبد الجبار الغزالي

[كانت الحفلة التكريمية التي أقامها الدستوريون من أبناء دار العلوم في دار الأوبرا الملكية بمناسبة الانعام الملكي على صاحب المال الوزير الأديب إبراهيم دسوقي بأبائه باشا مظهراً من مظاهر الأدب الرائع تجلي فيها ألق الخطباء وأندى الشعراء من أفاقين البلاغة العالية التي استمدت صورها من فن المادحين ، وفكرها من أخلاق المدوح . ولنا نشعر هذه القصيدة تمثيلاً لا يقل في هذا الحقل الكريم ، ومشاركة من الرسالة في تكريم هذا الخلق العظيم]

مجدُّ أهل على أمجادك الأولِ ممن نغديه بالأرواح والمقل
« فاروق » أكرم من يجزى على عمل
للساهرين على الإخلاص في العمل
الصامتين وأيديهم محدَّنةٌ والمأزفين عن الهرج والدجل
السائرين على الأشواك لن يهتوا
حتى يسير الحمى في السانع الخفيل
الذاهبين مثلاً في الفناء له حتى غدوا في التفاني مضرب المثل
الحائضين الرغى ناراٌ موججةً فا استكانوا وما ذلوا على وجل
القاذفين بها أرواحهم شملاً
أذكت لظاها ، فكانت أصدق الشمل
التأثرين على العدوان مجترئاً والصامدين له في الحادث الجلل
إلصارخين وقد دوى الحديد نحي
والشوبكيون أشلاء على السبل^(١)
الفاضلين أسوداً في عمرهم
وقد عوى الذئب محمواً على الخمل
أولئك الصفوة الأخيار أجهمتم تمثلوا كلهم في « ذلك الرجل »
هو الدسوقي وفي عناه صفحته يفضاه : تقرأ فيها سيرة البطل
يا سيدي : رتبة الفاروق مفخرة
فانعم بها في هوى « الفاروق » واحتفل
تهيتك فلم تههم مبكرة وأين همتا من قة الجبل ؟
سعت إليك فجال الشعر في خلدي
والشعر لولاك لم يخطر ولم يحل
يا سيدي في يدي قيثارة عجب شدت بمجدك في حب وفي غزل

(١) إشارة إلى حوادث الاجتلال الدامية في بلدة « الشوبك » سنة ١٩١٩

من وحي إنجليزية^(١) :

البانوراما

لنواز محمد عبد الغنى حسن

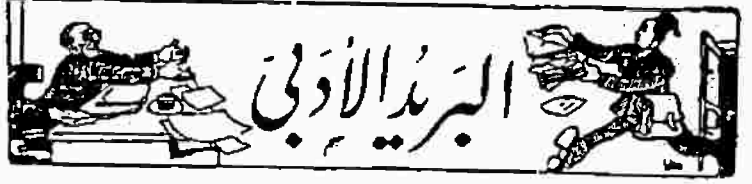
[البانوراما هي حفلة عالية بمدينة لا كثر تعرف على السهول والأودية المتعة حول هذه المدينة التي تمد عروس المدن في جنوب غربي إنجلترا . وقف الشاعر عليها وأرسل الطرف ببدا ببدا ثم نظم هذه الآيات .]

هذا القضاء أمام عينك فانظري تجديه ملء السمع ملء النظر
إني أذوق به لذات الهوى وأشم نفع عبيد التعطير
حيث الربيع هناك في رباعه يختال في البرد النضير الأخضر
حلت بشاشته بكل ثيئة وبدت نضارته لكل مصور
صور جلالها الحسن فهي مشاعة
هيا لبناج الجمال الأطهر

قد عفت رثرة المدينة فاسمى هم السيم بحر غير مثرثر !!
وسئت أقدار الحياة وهاتها
ماه الحياة الصفو لم يتكدر
وبرمت بالأنفاس وهي حبيسة في قلب التأنج التسمير
ووجدت أعباء الحياة ثقيلة فأردت أطرحها بهذا الشعر !
وهناك في الأشوات غبت كائن
سكران من تخير ولو لم أسكر
واقفت والدنيا أمامي جنة حفت بكل محبٍ ومخير
والجدول الوستان يخطر تحتنا ينسل مثل الماشق المتحدر
وعلى امتداد الطرف المح قرية قد لقها ورق الربيع بمز
ظهرت على الأفق البعيد وخلفها
دينا مغيبة الصوى لم تظهر
عجبا يلوح لنا القريب كواقع ووداء غيب كسر مضمر
من لي (بزقاء البهامة) علني
أشتام ما خلف الستار الأكبر ؟ ؟

(١) من ديوان بهذا العنوان تحت الطبع

من اجساد و بصری



قد تعلمت شيئاً مختلفاً عنه ، فلقد بهرتك مظاهر السلطة
فوضعت في رأسك لجأماً نقاد به ، وكما أن الحيوانات نقاد
من مقودها حيث يشاء الإنسان دون أن يدري لم يُنقاد
ولم إلى أين .. كذلك كثير منكم يرسف في أغلال البسطة
ولا يدري أين يُذهب به « وأقول إن أرتك الذين يعرفون
ما كتبه العرب يدركون لأول وهلة مصادر الدرس الذي تعلمه
هذا الفيلسوف ، وأن أولئك الذين تعلموا علوم العرب ودرسوا
لنهمم ليدركون كل الإدراك معنى هذا الدرس
ومن بك 'ذا فم مرّ مريض' يحسد مرّاً به الماء الزلالا
وإن في هذا ليلاغا لقوم يعقلون .

عبد القادر محمود

هل الموسيقى لغة ؟

حاول الأديب سهيل لإدريس تنفيذ بعض آراء الأستاذ على
الطنطاوي عن الموسيقى فأعوزه التوفيق في إيضاح ما تعرض له
إيضاحاً علياً . وأما الآن كتاب صغير عن تاريخ الموسيقى
وضعه الأستاذ و ج . تيرر في سنة ١٩٣٠ و فرغت أنا والفنان
شكيب من نقله إلى العربية في خلال السنة الماضية . فلي الفصل
الأول من هذا الكتاب تعرض المؤلف للبرهنة على أن الموسيقى
لغة ، وأود أن أجعل فيما يلي بعض ما ذكره ، وهي كفيلة بوضع
الأمور في نصابها .

ما هي الموسيقى ؟ قال البعض : إنها الفن الذي يؤلف بين
أصوات مطربة . وظاهر أن هذا التعريف لا يشمل أصول
الموسيقى الروحية أو الذهنية ، إلى غير ذلك من مختلف التعاريف
التي ينقصها الشمول والتحديد والتي لا ترتفع لمستوى ذلك
التعريف الذي وضعه بهوفن مغرماً به الموسيقى ، إذ قال : « إن
الموسيقى هي الحلقة التي تربط حياة الحس بحياة الروح » - أي
الحياة الباطنة بالحياة الظاهرة . والواقع أن الموسيقى لغة يمكن أن
تعبّر عما يحتاج النفس الإنسانية من شعور - سواء أكان حسياً
بسيطاً أم روحياً مركباً .

ومثل الموسيقى مثل بقية الفنون في قدرتها على التقليد
والمحاكاة - فكما أن الشاعر قادر على محاكاة الأشياء كالسكر
والفر في ميدان الحركة بترتيبه للألفاظ ترتيباً فنياً خالصاً ، كذلك

الماضي الخالد

سيدى الأستاذ الجليل عباس محمود العقاد
اطلعت أخيراً على أحد المنشورات البريطانية عن تاريخ
اهتمام الإنكليز بالعرب واللغة العربية ، وقد جاء في ذلك المنشور
ما يأتي :

« من بين أولئك الذين تأثروا تأثراً عميقاً بالعلوم العربية
الفيلسوف العظيم «بيكون» . وبما يستحق الذكر أن أول كتاب
طبع في إنكلترا ، وهو كتاب كلمات الفلاسفة وحكمهم كان
مؤلفاً على نسق كتاب عربي اسمه «مختار الحكم ومحاسن الكلم»
الذي ألفه عام ألف وثلاثمائة وخمسين بعد الهجرة «الأمير المصري
مبشرين فانتك» ، ولم يطبع النص العربي لهذا الكتاب ، ولكن
له نسخة مخطوطة في هولندا ، وقد ترجم هذا الكتاب إلى معظم
اللغات الأوروبية ، وقد كان في وقت من الأوقات صاحب شهرة
عظيمة في الشرق » .

فهل قرأت يا سيدى العزيز هذا الكتاب في الإنجليزية ؟ وإذا
كان الأمر كذلك فأرسلته ؟ وكيف انتقلت النسخة المخطوطة
إلى هولندا ؟ وفي أي عصر كان هذا الانتقال ؟ وإذا كان «بيكون»
قد تأثر بهذا الكتاب فما مبلغ تأثره وما نتيجة ذلك ؟ وإذا كان
هذا الكتاب قد ترجم إلى معظم اللغات الأوروبية فأين النص
العربي الآن ؟

ومتى نعرف أن Sir William Jones « سير وليم جونز »
ترجم المعلقات السبع ، وأن Hindley « هندلي » ترجم المتنبي ،
وأن George Sale « جورج سيل » ترجم القرآن الكريم ، وأن
Pococke « بوكوك » ترجم لامية الطغرائي ومختصر الدول ،
وأن Ockley « أوكللي » ترجم رسالة حي بن يقظان لابن طفيل ؟ !
وإلى متى نظل في مهارتنا حول قضية القديم والحديث ، وهذا
عالم إنجليزى لا يحضرني اسمه يقول لابن أخيه : « إنني وقائدى
ودليلي العقل قد تعلمت شيئاً من أساتذتي العرب ، ولكنك يا بني

يفهمه الآخرون بمواسمهم . فتعبيرات الموسيقى النفسية هي ألحان موضوعة في نغم موسيقى ، والنفس الإنسانية واحدة في الجوهر وإن اختلفت في المظهر ، وعلى هذا فالتعبيرات الموسيقية واحدة تنبع كلها من نبع واحد هو النفس الإنسانية وإن اختلفت في الشكل الخارجي .

هذا يحمل رأى الأستاذ تيرر في هذا الموضوع .

محمد التوفى

المدرس بالمعهد البريطاني للعلوم التجارية

مؤتمر إصلاح الأسرة

قررت الجمعية العمومية لرابطة إصلاح الأسرة في اجتماعها السنوى برئاسة سعادة محمد على علوية باشا الدعوة إلى عقد مؤتمر عام لبحث شئون الأسرة يدعى إليه رجال الدين والاجتماع والتربية والمشتغلون بالأبحاث الاجتماعية في مصر والأقطار الشقيقة ، وقد شكلت لجنة لتنظيم المؤتمر من حضرات أصحاب العزة :

محمد فتحي بك ، عبد الحميد بك عبد الحق ، جلال حسين بك ، حسن بك فريد ، صالح جودت بك ، أحمد محمد بك ، الدكتور محمد صالح حلمى بك ، الدكتورة فاطمة فهمى ، الأستاذة زينب ليلى المحامية

وتطلب البيانات الخاصة بهذا المؤتمر من سكرتارية الرابطة ٦ شارع محمد صدق باشا عيبدان الفلسكى بمصر .

اسماعيل ترفى

إعلان

وزارة الزراعة

تقبل المعطاءات بإدارة المخازن والمشتريات بالنق لغاية ظهر يوم ٧ يوليو سنة ١٩٤٥ عن توريد خيام وأدواتها وأدوات منزلية وحبال لأقسام الوزارة . وثمن النسخة من الشروط والمواصفات ٣٠ ملياً بخلاف ٢٠ ملياً أجرة البريد . ٣٦٠١

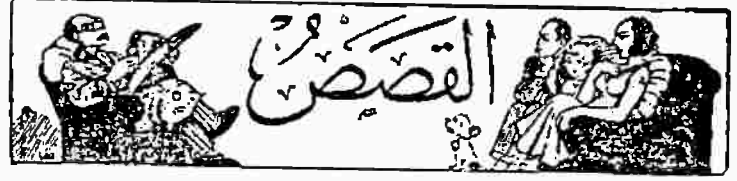
الموسيقى فإنه قادر على الوصف قدرة لا حد لها - إما بالمحاكاة المباشرة أو عن طريق التداعي ، وذلك بالنغم .

والنغم هو أداة الموسيقى كما أن اللفظ هو أداة الأديب واللون أداة الرسم . ويرتبط اللون واللفظ بأشياء خارجية تسبب تداعى مختلف المعانى ، ويرجع هذا لأثر البيئة . فإذا كتب كاتب : « شجرة » فإن القارئ قد يتصور نخلة نمر أو شجرة بلوط أو ما شاكل ذلك ، وإذا حاول رسام أن يخرج للحياة فكره وشعوره الباطنى عن طريق اللون فإن الرسم قد يخرج مختلف الصور الذهنية عند مختلف الأفراد . هذه هي المعضلة الأساسية التى تقابل المترجم والرسام : عليه أن يتخير اللفظ واللون ليخرج صورة حية قينة بالخلود ، ولا يتأتى هذا إلا للمبصرى .

أما الموسيقى فهي خلو من هذه الصعوبات ؛ لأن النغم واحد عند الجميع ، إذ هو مستمد من الروح الإنسانية ، أو بعبارة أخرى ، لأنه غير مرتبط بعوامل خارجية . والموسيقى قبل هذا كله لا ترتبط بالعالم الظاهر فيما عدا تقليدها المباشر لعدد قليل من الأصوات الطبيعية التى تخلقها الطبيعة ، مع ملاحظة أن الأصوات جد نادرة فى الطبيعة وأن عالمنا الذى نعيش فيه عالم صامت إلى أبعد الحدود ، ويمكن التدليل على صحة هذا بأن يتخيل القارئ أنه يعيش وحيداً فى الريف أو فى الصحراء بعيداً عن الناس وعن ضوضاء المدينة ، حيث السكون شامل مطلق .

يتساوى هذا السكون فى نظر الأفراد فى مختلف بقاع الأرض لأنه غير مرتبط بماديات الحياة . هذا السكون هو الذى وهب الموسيقى ذاتيتها الفريدة ، فتعبير الموسيقى عن فكره وشعوره عن طريق النغم مستمد من صميم العالم الباطن للروح الإنسانية ، وهى بهذا وطدت عالميتها وإنسانيتها .

والموسيقى كلمة لا تقدر على ربط معاملات الناس التجارية ولكنها قادرة على التعبير عما يختلج فى قلوبنا من عواطف وما يمر فى عقولنا من خيالات - كل هذا بأدق وصف ، وسهولة أداء وقدرة على التعبير ، لأنها أتت لغة تترجم من النفس الإنسانية ولأنها تبحث فى دنيا الباطن ، وليس لها شئ فى عالم الظاهر . هى لغة لأنها تنقل الآخرين صورة حية لما يتفاعل فى نفس الموسيقى من شعور وآمال باطنة . هذه الصورة هى المظهر الخارجى الذى



ناظرة المدرسة

لاتظوره نُبكوف

بقلم الأستاذ محمد قطب

مدرسة بل كادت تنساء ... لقد كان لها — ذات يوم —
والد ووالدة وكانا يسكنان في موسكو في منزل نغم. ولكن
لم يبق في ذاكرتها من هذا كله إلا أشياء غامضة باهتة
كطائف الأحلام فقد مات أبوها وهي في العاشرة من عمرها
وماتت أمها على أثره. وكان لها أخ ضابط في الجيش وكان يتراسل
بين الحين والحين، ولكن أخاها قطع عنها مراسلاته ولم تعد تعلم
عه شيئاً. ولم يبق لها ما يربطها بالماضي البعيد إلا صورة لأمتها ...
وحتى هذه قد بهتت معالمها من أثر الرطوبة في المدرسة ولم يبق
سها إلا شعر الرأس والحاجبان.

كانت ماريا — في أثناء الطريق — تفكر في مدرستها وفي
الامتحان الذي سيقع في القريب وفي البت والأولاد الأربعة
الذين سترسلهم إليه. وبينما هي مسترسلة في أفكار الامتحان
أدركها أحد الجيران من كبار الملاك — رجل يدعى هانوف —
في عربة تجرها أربعة جياد وكان هو بعينه الرجل الذي امتحن
تلاميذها في العام الفائت. فلما رآها عرفها وأخفى لها محبياً وهو
يقول: « صباح الخير. أنت عائدة إلى المدرسة فيما أظن »
كان هانوف هذا في الأربعين من عمره؛ رجلاً بارد الماطفة
يسد في وجهه أثر الإجهاد، وكان الهرم قد بدأ يدب إليه ولكنه
مع ذلك وسيم محبوب من النساء.

وكان يعيش في منزله الكبير بمفرده — ولم يكن موظفاً —
وكان الناس يقولون عنه إنه لا يصنع شيئاً في المنزل إلا أن يروح
ويجيء في الفرقة وهو يصفر بفسه أو يلعب الشطرنج مع سائق
عربته ويقولون كذلك إنه مدمس للشراب، وهذا حق،
فقد كانت الأوراق التي أحضرها معه في الامتحان تفوح برائحة
الغور ... وقد كان في ذلك اليوم مرتدياً ملابسه الجديدة وبدأ في
عيني ماريا وجهها جذاباً، وكانت طوال جلستها إلى جانبه في غمرة
من الانفعالات والأحاسيس. لقد تعودت أن ترى متحنيين غلاظاً
جفاة، وآخرين مقولين معتدلين، ولكن هذا كان نموذجاً فريداً
فلم يكن يدري في أي موضوع يال! ولم يكن يعطى التلاميذ
أقل من الدرجة النهائية!

قال موجهها كلامه إلى ماريا فاسيلقينا: « إنني ذاهب لزيارة
باكفت ولكني أخبرت أنه ليس في المنزل »

في منتصف الساعة التاسعة خرجت العربة من المدينة. وكان
الطريق الجبلي جانفاً ونحس أبريل الصاخبة المشرقة تنشر الدفء
والبهجة وإن كان الجليد ما زال باقياً في الحفر وفي ثنايا الغابات،
فقد انتهى الشتاء المظلم الطويل ولما يكس، وطلع الربيع بقاءً على
غير انتظار. ولكن الدفء الجليل ومنظر الغابات الشفافة التي
أنعشتها نسائم الربيع الدافئة، والطيور المحلقة في جماعات كبيرة
فوق المستنقعات العظيمة التي تبدو كالبحيرات، والسماء الصافية
الرائقة التي تبعث الرغبة في الإنطلاق، وتحيل للانسان أن يرتقي
إليها صعداً قيوعاً في أرجائها الفسيحة ... كل أولئك لم يكن ليثبت
معنى واحداً جديداً في نفس « ماريا فاسيلقينا » التي كانت تجلس
في العربة. فهي ناظرة مدرسة منذ ثلاث عشرة سنة، ولا يستطيع
أحد أن يحصى عدد المرات التي ذهبت فيها إلى المدينة لتقبض راتبها.
وسواء كان الوقت ربيعاً كما هو الحال اليوم، أو كان يوم خريف
ممطر أو شتاء مظلم، فلا فرق لديها أبداً. وهو إحساس واحد
يختلج في نفسها كل مرة: هو التطلع إلى إنهاء هذه الرحلة بأسرع
ما يكون.

وخيل إليها أنها تعيش في هذا المكان منذ أجيال طويلة وآماد
بميدة، وخيل إليها أنها تعرف كل صخرة وكل شجرة في الطريق
من المدينة إلى المدرسة، لقد كان هنا ماضيها وحاضرها. ولا يستطيع
أن تتخيل لها مستقبلاً آخر غير المدرسة والطريق إلى المدينة والعودة
إلى المدرسة وهكذا ... إلى ما شاء الله.

وقد أقلمت عن التفكير في ماضي حياتها قبل أن تصبح ناظرة

ثم انحرفوا عن الطريق المساعد في الجبل إلى طريق جانبي يؤدي إلى القرية ، وكان هانوف في المقدمة يليه سيميون . وكانت الجياد الأربعة تتحول بسرعة ضئيلة وهي تبحر وراءها العربية الثقيلة وسط الأوحال ، أما سيميون فقد كان يتأرجح من جانب إلى جانب في الطريق وكثيراً ما كان ينزل من العربية ليساعد حصانه الهزيل وكانت ماريا فاسيلينا ما تزال تفكر في المدرسة وفيما إذا كانت أسئلة الحساب ستأتي مناسبة لمستوى التلاميذ أو صعبة على أفهامهم .

وأحست في هذه اللحظة بالنصب والاستياء من رجال المنطقة الذين لم يجد أحداً منهم في اليوم الفائت . ما أبدهم عن الشعور بمسئولية العمل ! لقد مر عامان وهي تطلب تغيير البواب الذي لا يقوم بأداء عمل ما ويعاملها معاملة خشنه ويضرب التلاميذ ؛ ولكن أحداً لم يعرفها التفاتاً . وكان من المتعذر عليها أن تجد خضرة المراقب في مكتبه ، فإذا وجدته بعد لأي أجابها والدموع في عينيه إنه لا يجد لحظة فراغ واحدة يبحث فيها الطلب !

أما المفتش فهو يزور المدرسة مرة كل ثلاثة أعوام ! ولم يكن يعرف عن طبيعة عمله شيئاً . فقد كان موظفاً في مصلحة الضرائب وحصل على وظيفة التفتيش بطريق الوساطة والاستثناء !

وكان راعي المدرسة مزارعاً يكاد يكون أمياً ، وكانت به جلافة وضيق عقل ، وكان صديقاً حميماً للبواب يحميه من كل سوء .

فلن نتقدم بشكواها وقد أوسدت أمامها الأبواب ؟ قالت لنفسها وهي تنظر إلى هانوف « إنه حقيقة وسيم » وزاد الطريق سوءاً . وكانت المجلات تفرق في الماء وتثير رشاشاً حاداً يضر بهم في وجوههم . فقال هانوف وهو يضحك : « يا له من طريق ! »

وتأملته الناطرة حيناً فلم تستطع أن تدرك لماذا يعيش هذا الرجل العجيب هنا . وكيف يتناسب جاهه ووسامته وأبهة منظره مع هذا المكان المظلم القاتم الفارق في العلين ؟ ليست له أية مصلحة في الحياة هنا ، وما هو ذا يقود جياده في ذلك الطريق المتعب كما يفعل سيميون ويلاقى ما يلاقيه هذا من نصب وعنت ... لماذا يبقى الإنسان هنا ما دام يستطيع أن يعيش في بطرسبورج أو في مدن القارة الكبرى ؟

لقد كان من الواضح أن هانوف لم يكن يحس وطأة هذه الحياة أو يرغب في أحسن منها . لقد كان عطوفاً ، لينا ، ساذجاً ، لا يدرك غلظة هذه الحياة ؛ كما كان - أثناء الإمتحان - لا يعرف موضوعات الإمتحان .

وأيقظها سيميون من تنكيرها حين صاح بها « أمسك بالعربة جيداً » فقد قفزت العربية فجأة وكادت تنقلب وأحست ماريا بشيء ثقيل يقع على قدميها فإذا هو حقيبتها وبداخلها ما ابتاعته من المدينة في الصباح . كان الطريق يصعد رأسياً في الجبل والأوحال تنطيه من كل جانب وكانت الخيل المجهدة تلهث من التعب فزول هانوف وسار بجانب العربية وهو يسمح عرقه قائلاً « يا له من طريق ! » وضحك مرة أخرى وهو يقول . « إنه كفيل بأن يحطم العربية »

فرد سيميون بلهجة أدنى إلى التوقع « لا أحد يضطرك إلى الركوب في يوم كهذا . كان الأجدر بك أن تبقى في المنزل » فقال « إنني أضيق بالمنزل يا جدي ولا أحب البقاء فيه »

وكان يبدو بجانب سيميون المجوز رشيقاً متوفراً ومع ذلك فقد كان في مشيته شيء خفي يكشف عن بنيان بدأ يدب فيه الضعف والانهلال . وأحست ماريا بشعور يملؤها بالخوف والعطف على هذا الرجل الذي يسير في طريقه إلى الانحلال لغير ما سبب مفهوم . وخيل إليها أن لو كانت هي زوجته أو أخته لجمعت حياتها كلها وفقاً على إلتقاده مما هو فيه . زوجته ! لقد شاءت الظروف أن تجعله يعيش في بيته الفسيح منفرداً ويعيش هي في هذه القرية اللعينة بمفردها ومع ذلك فإن مجرد التفكير في أن يكون كلاهما بجوار الآخر مساوياً له يبدو أمراً مستحيل الوقوع .

في إلحق إن ظروف الحياة وملابسات بني الإنسان قد ركبت تركيباً عجيباً يقف الإنسان أمامه حائراً عاجزاً عن تفهمه فإذا لم يجد له حيلة عاد مثقل الفؤاد .

قالت لنفسها وهي تنكر في ذلك « إنه لمن أخفى الأمور وأصعبها فهما أن يعطى الله هذا الجمال وهذه الرشاقة وتلك الميونة الحزينة الجميلة لقوم ضعفاء تمت حظوظهم فلا يصلحون لشيء لماذا ... لماذا يحمل الله فيهم كل تلك الفتنة الجذابة ؟ »

قال لها هانوف وهو يستقل العربية « هنا يجب أن انحرف إلى

الشرق . وداعاً ! أرجو لك كل شيء حسن ! »

وعادت تفكر في التلاميذ وفي الامتحان وفي البواب وحين نقلت الريح إلى سمعها صوت العجلات البتيدة اختلطت أفكارها تلك بأفكار أخرى . وأحست بالشوق الجارف إلى التفكير في العيينين الجيلتين ، وفي الحب ، وفي السعادة التي لن تكون زوجته ؟

لقد كانت تحيا حياة قاسية . الجو بارد في الصباح ، ولا أحد يوقد الموقد ، وقد اختفى البواب ، والتلاميذ يتوافدون بمجرد ظهور الضوء يحملون قطعاً من الثلج والطين ويتعاصمون في ضجة عظيمة . كل شيء متمب مقلق للأعصاب . وكان مكانها يتكون من غرفة واحدة صغيرة يتبعها المطبخ . وكانت تشعر بالصداع بعد انتهاء العمل ويصيبها الإلتهاب بعد كل أكلة . وكان عليها أن تجمع النقود من الأطفال للخشب وللبناب والبناب والبناب المدرسة ثم ترجوه — وهو ذلك الفلاح الغليظ — أن يرسل إليها الخشب . وفي الليل كانت تحلم بالامتحانات والفلاحين والمواصف الثلجية ... ما أقسى هذه الحياة التي تسرع بها إلى الهرم وتجعلها تبدو قبيحة محدودة ثقيلة كأنما خلقت من رصاص . لقد كانت أبداً خائفة قلقه . وكانت تنتفض واقفة ولا تجسر على الجلوس في حضرة أحد موظفي المراقبة أو راعي المدرسة . وتستعمل العبارات الرسمية والتحيات المبهجة في حديثها معهم .

ولم يكن أحد يظنها جذابة . وكانت حياتها تمر جافة مرعبة بغير عاطفة حية ولا إحساس صداقة ولا معارف يشاركونها بعض هموم الحياة .

يا أعجب حياتها لو وقعت في الحب وهي في حالتها تلك !

« أمسكي جيداً ياماريا ! »

مصعد آخر في الجبل .

لقد أصبحت ماريا ناظرة تحت ضغط الضرورة . ولم تكن تشعر بأي ميل لهذه المهنة . ولم تنجس قط إلى مهنة بعيثها ولا كانت تفكر في خدمة ذلك النرض النبيل : غرض التعليم والتثقيف . وكان يخيل إليها دائماً أن المهم في الأمر كله ليس هو التلاميذ ولا التعليم وإنما هو الامتحان .

ومن أين لها الوقت لتفكر في شرف المهنة وفي خدمة الثقافة ؟

إن المدرسين والأطباء ضئال الأجور ، بما يرزحون تحته من أعباء مرهقة عنيفة ، لا يحدون ما يخفف عنهم ، ولا حتى الاعتقاد بأنهم يخدمون فكرة عليا أو يخدمون الناس ، ما دامت رءوسهم دائماً مشغولة بالتفكير في أسر القوت اليومي وفي المرض وفي سوء حالة المواصلات ...

إنها حياة شاقة مملة ، لا يستطيع احتياها طويلاً إلا « حمير الشغل » من أمثال ماريا فاسيليتينا . أما أولئك المتوفزون الذين تتدفق الحياة في جنوبهم والذين يحدثون عن شرف المهنة وعن خدمة الأغراض النبيلة فسرعان ما يدركهم السلل من التدريس فينفضون أيديهم منه .

كان سيميون يجعل باله دائماً إلى اختيار أخضر الطرق وأكثرها استفادة ولكنه كان يجد المراقيل دائماً في الطريق ، فهنا أحد الفلاحين لا يسمح له بالمرور ، وهناك أرض القسيس لا يخترقها أحد ، وفي جهة ثالثة قد اشترى بعضهم قطعة أرض وحفر حولها حفرة فلا سبيل إلى عبورها ، وهكذا كان يضطر بين الحين والحين إلى تغيير طريقه ووجهته .

ومروا في أثناء الطريق على قرية « نيزهناى جورود يتشى » فقال سيميون « لقد كانوا يبنون مدرسة هنا أخيراً . وكان هذا عملاً سيئاً جداً ! »

فقالت ماريا باستغراب « لماذا ؟ »

« يقولون إن المراقب أخذ ألف جنيه في جيبه وأخذ راعي المدرسة ألفاً أخرى وأخذ المدرس خمسمائة »

« لقد تكلفت المدرسة كلها ألف جنيه . فمن الخطأ يا جدى أن تقترى على الناس مثل هذه الأكاذيب »

لا أدري ... وإنما أخبرتك بما سمعت من الناس »

ولكن كان من الواضح أن سيميون لم يصدق الناظرة . ولم يكن الفلاحون يصدقونها كذلك . فقد كانوا يعتقدون أنها تأخذ راتباً ضخماً : عشرين روبل (وكان يكفيها خمسة) وأنها كانت تأخذ لنفسها معظم المال الذي تجمعته من التلاميذ باسم الخشب وباسم البواب ، وكان راعي المدرسة يمتد ذلك أيضاً ، وكان هو بدوره يجعل لنفسه ربحاً من المال المجموع للخشب ، وكان يأخذ

وكانت نوافذ المحطة تمتع كذلك في الضوء والدخان الأسود يرتفع من مدخنة القاطرة ... وخيل إليها أن كل شيء يرتعد من البرد ! وأخيراً جاء القطار . وكانت نوافذه تعكس النور في عينيها فتشبهها . وبينما هي تتحدق في العربات السائرة أمامها على مهل أبصرت بين عربتين من عربات الدرجة الأولى سيدة واقفة فتأملتها وهي تمر بها . يا للعجب ! أمها ! ما أشبهها بها ! لقد كان لأما مثل هذا الشعر الفخم ومثل هذين الحاجبين وكانت ثياب وجهها تشبه هذا الوجه إلى حد كبير .

ولأول مرة منذ ثلاثة عشر عاماً برزت أمام مخيلتها بوضوح عجيب ودقة تامة صورة أمها ، وأبيها وأخيها ، ومنزلهم في موسكو وكل شيء من الماضي بتفاصيله الدقيقة . وسمعت من أعماق ذلك الماضي نغمات البيانو تنبعث في الفضاء وصوت أبيها يناديها وأحست — كما كانت تحس إذ ذاك — أنها شابة جميلة ، رشيقة ، وخيل إليها أنها جالسة في غرفتها الدافئة على كرسي وثير وحولها أقاربها وغمرها شعور مفاجئ بالشر والسعادة فعمرت خديها بيدها في نشوة عارمة ونادت هامسة في ضراعة « أماه ! »

وطفقت تبكي . لا تدري لم ؟ وفي تلك اللحظة ذاتها وصل هانوف بعربته وجياده الاربعة . وما أن رأى أنه حتى أحست بالسعادة كما لم تحس من قبل أبداً . وابتسمت وهزت رأسها بحمية له باعتباره صديقاً ونداً لها . وخيل إليها أن سعادتها بزل انتصارها يملأ الفضاء من كل جانب ويلعب في النوافذ وفي الأشجار وعلى أوراق الزهور ! وأن أباه وأما لم يموتا أبداً وأنها لم تكن قط ناظرة مدرسة . وأن هذا كله كان حلاً مزججاً طويلاً أفادت منه هذه اللحظة

« اركبي يا ماريا ! »

ونجاة انتهى كل شيء . ورفع الحاجز ببطء وصعدت ماريا إلى العربة وهي ترتعش من الصقيع . وعبرت العربة ذات الجياد الاربعة خط السكة الحديد وتلاها سيميون . ورفع عامل الإشارة قبعته بحماسة . « ها هي فيازوفيا . وها نحن أولاء . »

محمد قطب

هبات من الفلاحين بصفه كونه راعي المدرسة بدون علم السلطات المختصة ..

وأخيراً خرجوا من الغابة إلى الطريق المستوي الذي يؤدي إلى فيازوفيا ، وكان عليهم أن يعبروا النهر ثم خط السكة الحديد فيسبحوا على مرمى البصر من فيازوفيا .

قالت ماريا « إلى أين أنت ذاهب ياسيميون ؟ خذ الطريق الأيمن إلى الجسر »

« نستطيع أن نذهب من هذا الطريق أيضاً . وليس النهر عميقاً هنا » ، « واحذر أن تفرق الحصان »

« ماذا ؟ » قالت : ماريا وقد رأت الجياد الأربعة عن بعد : « انظر إن هانوف في طريقه إلى الجسر . إنه هو ، أليس كذلك ؟ » « نعم : فهو إذن لم يجد بكفت في منزله . ألا ما أغباه ! لأى شيء قاد عربته إلى هناك وكان يستطيع أن يجي من هنا فيوفر على نفسه ميلين كاملين »

ثم وصلوا إلى النهر . وهذا النهر يصبح في الصيف جدولاً صغيراً يسهل عبوره ويجف عادة في شهر أغسطس ، أما الآن بعد ذوبان الثلوج فإن عرضه يصل إلى أربعين قدماً وهو سريع الجريان كثير الرحل بارد المياه

صاح سيميون في حصانه وهو يجذب اللجام بحدة وعنف « هلم ! أسرع ! » فنزل الحصان في الماء حتى بطنة ثم وقف ؛ ولكنه مالبث أن تحرك بجهد عظيم ، وأحست ماريا بالصقيع في قديمها فصاحت هي الأخرى « أسرع ! أسرع ! » .

وحين وصلوا إلى الضفة الأخرى كان حذاؤها قد امتلأ بالماء وابتل أسفل رداها وأخذ أحد أكتافها يقطر ماء . واختلط الماء بالسكر والدقيق اللذين اشتريتهما من المدينة ، وكان هذا فوق ما تطيقه ماريا ولكنها لم تجد لها حيلة إلا أن تشبك أصابع يديها في يأس وتصيح « إنك متعب ، متعب ياسيميون . كم أنت متعب ! » وكان الحاجز الذي يفلق المرقد أترق قبل أن يجي القطار من المحطة فوقفت ماريا تنتظر مرور وجهها كله يرتعد من البرد . وكان أمامها على مدى النظر قرية فيازوفيا والمدرسة بسقفها الأخضر والكنيسة بصلبانها اللامعة في ضوء الشمس القارية